لماذ يجب علينا أن نهتم

بالتوحيد؟

جمع و إعداد

إسلام محمود دربالة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يا أيهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ حَق تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُن إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يا أيهَا الناسُ اتقُوا رَبكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَث مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتقُوا اللهَ الذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِن اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يا أيهَا الذِينَ آمَنُوا اتقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71].

أما بعد:

فهذه رسالة لطيفة في حجمها عظيمة بإذن الله في نفعها ؛ وكيف لا تكون عظيمة وهي توضح وجوب الاهتمام بالتوحيد ولماذا يجب علينا أن نهتم بالتوحيد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((وهذا الأصل _ أي توحيد الله هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا غيره وبه أرسل الرسل وأنزل الكتب)).

وهذه الرسالة في الأصل هي فصل انتزعته من كتابي ((القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد))

أسأل الله أن ينفع بهذه الرسالة وأن ينفع بأصلها وأن يجعلهما لي ذخرًا يوم الدين يوم نقف بين يدي ملك الملوك، وأن ينفع عباد الله الموحدين بما فيهما،ويهدي بها من ضل سبيل الرشاد.

س: لماذ يجب علينا أن نهتم بالتوحيد؟

1- التوحيد هو الغاية من خلق الجن والإنس: قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:56].

((قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل.

وقال أيضًا: العبادة اسمُ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الباطنة و الظاهرة.

وقال ابن كثير: العبادة في اللغة من الذلة. يقال: طريق معبد وغير معبد، أي مذلل. وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف)) [1].

وقال السعدي:))هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها. وهي عبادته؛ المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه.

وذلك متوقف على معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله.

بل كلما ازداد العبد معرفة بربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم))[2].

2- التوحيد هو الغاية من إرسال الرسل:

---

(1) انظر ((تيسير العزيز الحميد)) (46، 47).
(2) ((تفسير السعدي)) (181/7).

قال عز وجل: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36].

قال صاحب ((تيسير العزيز الحميد)):

((أخبر تعالى أنه بعث في كل أمة؛ أي في كل طائفة وقرن من الناس رسولاً بهذه الكلمة: {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} أي اعبدوا الله وحده، واتركوا عبادة ما سواه؛ فلهذا خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25].

وهذه الآية هي معنى : لا إله إلا الله؛ فإنها تضمنت النفي والإثبات، كما تضمنته لا إله إلا الله؛ ففي قوله: {اعْبُدُوا اللَّهَ} إثبات، وفي قوله {اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النفي.

فدلت الآية على أنه لابد في الإسلام من النفي و الإثبات، فيثبت العبادة لله وحده، وينفي عبادة ما سواه، وهو التوحيد الذي تضمنته سورة {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ})).

إلى أن قال: ((ودلت الآية على أن الحكمة في إرسال الرسل هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه؛ وأن أصل دين الأنبياء واحد، وهو الإخلاص في العبادة لله))(3).

3- التوحيد هو معنى لا إله إلا الله:

قال الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ: ((التوحيد هو معنى لا إله إلا الله،

---

(3) ((تيسير العزيز الحميد)) (50،51).

الذي مضمونه أن لا يعبد إلا الله؛ لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهما))[4].

((قال ابن عباس في معنى الإله: ((الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين)) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الإله هو المعبود المطاع)).

وقال أيضًا: ((في لا إله إلا الله إثبات انفراده بالإلهية، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد، هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع.

وقال ابن رجب: ((الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفًا ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل. فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، و نقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك)).

وقال البقاعي: ((لا إله إلا الله ، أي انتفي انتفاءً عظيمًا أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان الإذعان والعمل بما يقتضيه، وإلا فهو جهل صرف)).

---

(4) ((تيسير العزيز الحميد)) ص(42).

وقال الوزير أبو المظفر السمعاني في ((الإفصاح)): ((قوله شهادة أن لا إله إلا الله)) يقتضي أن يكون الشاهد عالمًا بأن لا إله إلا الله، كما قال الله عز وجل {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ}[محمد:19]، وينبغي أن يكون الناطق بها شاهدًا فيها، فقد قال الله عز وجل ما أوضح به أن الشاهد بالحق إذا لم يكن عالمًا بما شهد به، فإنه غير بالغ من الصدق به مع من شهد من ذلك بما يعلمه، في قوله تعالى: {إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[الزخرف: 86].

قال: واسم الله تعالى مرتفع بعد ((إلا)) من حيث إنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه.

قال: واقتضى الإقرار بها أن تعلم أن كل ما فيه أمارة للحدث، فإنه لا يكون إلهًا، فإذا قلت: لا إله إلا الله، فقد اشتمل نطقك هذا على أن ما سوى الله ليس بإله، فيلزمك إفراده سبحانه بذلك وحده.

قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة هي مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لمَّا نفيت الإلهية وأثبتَّ الإيجاب لله سبحانه، كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله)) [5].

4- التوحيد سببٌ لدخول العبد الجنة ونجاته من النار:

عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) [6].

---

(5) ما تقدم من النقول من ((تيسير العزيز الحميد)) (74-76).

(6) أخرجه البخاري (139/4) ومسلم رقم (28).

وفي حديث عتبان قال صلى الله عليه وسلم : ((فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) (7) .

((اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار كهذا الحديث وغيره من الأحاديث...

وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة، وقالها خالصًا من قلبه مستيقنًا بها قلبه، غير شاك فيها بصدق ويقين.

فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه؛ دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى؛ بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك)) (8) .

((والحاصل أن ((لا إله إلا الله)) سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتضي لذلك، ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه، أو لوجود مانع .

ولهذا قيل للحسن: إن ناسًا يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال: لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان؛ فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك،

---

(7) أخرجه البخاري (110/1)، ومسلم (455/1).
(8) ((تيسير العزيز الحميد)) ص (87).

وإلا لم يفتح[9])).

5- التوحيد سببٌ للأمن والسعادة في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام: 81].

قال السعدي: {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا} أي يخلطوا {إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} الأمن من المخاوف، والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا، لا بشرك ولا بمعاصي، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها.

ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن بل حظهم الضلال والشقاء[10].

6- خطورة الشرك الذي هو ضد التوحيد، فوجب الاهتمام بالتوحيد حتى لا يقع الإنسان في الشرك:

قال عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [النساء: 48].

قال ابن كثير: ((أخبر تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به، أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ويغفر ما دون ذلك، أي من الذنوب لمن يشاء من

---

(9) ((تيسير العزيز الحميد)) (90، 91).
(10) تيسير الكريم الرحمن (426/2).

عباده)) (11) .

((فتبين بهذا أن الشرك أعظم الذنوب. لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره، أي إلا بالتوبة منه، وما عداه، فهو داخل تحت مشيئة الله، إن شاء غفره بلا توبة، وإن شاء عذب به.

وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب، الذي هذا شأنه عند الله وإنما كان كذلك؛ لأنه أقبح القبح وأظلم الظلم؛ إذ مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به، كما قال تعالى: {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام:1]ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر، مناف له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته والذل له، والانقياد لأوامره، الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك، فمتى خلا منه خرب وقامت القيامة، كما قال صلى الله عليه وسلم : ((لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله)) رواه مسلم .

ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الإلهية؛ من مِلك الضر والنفع والعطاء والمنع، الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده.

فمن علق ذلك لمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولاحياة ولا نشورًا فضلاً عن غيره شبيهًا بمن له الخلق كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله. فأزمة الأمور كلها بيديه سبحانه، ومرجعها إليه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، الذي إذا فتح للناس رحمة، فلا ممسك لها،

---

(11) ((تفسير ابن كثير)) . ص( ).

وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم.

فأقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات، ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستعانة وغاية الحب مع غاية الذل، كل ذلك يجب عقلاً وشرعًا وفطرة أن يكون لله وحده، ويمتنع عقلاً وشرعًا وفطرة أن يكون لغيره، فمن فعل شيئًا من ذلك لغيره، فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثل له ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله، فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه أنه لا يغفره، مع أنه كتب على نفسه الرحمة، هذا معنى كلام ابن القيم)) (12) .

وقد خشي نبي الله إبراهيم الشرك ودعى ربه أن يجنبه إياه فقال: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ} [إبراهيم:35].

((وإنما دعا إبراهيم عليه السلام بذلك... لأن كثيرًا من الناس افتتنوا بها ... فخاف من ذلك ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها، فإذا كان إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام، فما ظنك بغيره؟!

كما قال إبراهيم التيمي: ((ومن يأمن من البلاء بعد إبراهيم؟))رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك، لا كما يقول الجهال: إن

---

(12) نقله صاحب ((تيسير العزيز الحميد)) ص(115، 116).

الشرك لا يقع في هذه الأمة، ولهذا أمنوا الشرك فوقعوا فيه)) [13].

7- مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى توحيد الله وحده لا شريك له وأوذي وعودي على أن يترك الدعوة إلى التوحيد، فماكان منه إلا أن قال: والله لو

8- القرآن من أوله إلى آخره دعوةٌ إلى التوحيد:

يقول ابن القيم: ((إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته ونهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبي من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم)) [14]

9- كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه -رضي الله عنهم- على

---

(13) ((تيسير العزيز الحميد)) ص(117).
(14) ((مدارج السالكين)) (450/3) .

التوحيد منذ الصغر:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف)) (15).

10- كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أن يبدءوا دعوتهم للناس بالتوحيد:

فقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن، قال: ((إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله)) (16) وفي رواية: ((إلى أن يوحدوا الله)).

قال شيخ الإسلام ابن تيمة: ((وقد علم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ، و أتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله)) (17).

11- أن شرك مشركي زماننا أشد من شرك أهل الجاهلية الأولى.

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتابه ((القواعد الأربع)) :

((القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم

---

(15) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(16) رواه البخاري ( ) ومسلم ( ).

(17) نقله عنه صاحب ((تيسير العزيز الحميد)) ص(127).

دائم في الرخاء والشدة)) (18) .

ويقول صاحب ((تيسير العزيز الحميد)) : بعد أن وصف ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى من الشرك وأنهم كانوا يشركون في الرخاء، فإذا كانوا في الشدة دعوا الله مخلصين { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} [العنكبوت:65].

قال: فهذه حال المشركين الأولين. وأما عباد القبور اليوم فلا إله إلا الله، كم ذا بينهم وبين المشركين الأولين من التفاوت العظيم في الشرك، فإنهم إذا أصابتهم الشدائد برًا وبحرًا أخلصوا لآلهتهم وأوثانهم التي يدعونها من دون الله، وأكثرهم قد اتخذ ذكر إلهه وشيخه ديدنه وهجيراه، إن قام وإن قعد وإن عثر. هذا يقول: يا علي، وهذا يقول: يا عبد القادر، وهذا يقول: يا بن علوان، وهذا يدعو البدوي، وهذا يدعو العيدروس.

وبالجملة ففي كل بلد في الغالب أناس يدعونهم ويسألونهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات بل بلغ الأمر إلى أن سألوهم مغفرة الذنوب، وترجيح الميزان، ودخول الجنة و النجاة من النار، والتثبيت عند الموت والسؤال، وغير ذلك من أنواع المطالب التي لا تطلب إلا من الله.

وقد يسألون ذلك من أناس يدعون الولاية، و ينصبون أنفسهم لهذه الأمور وغيرها من أنواع النفع والضر التي هي خواص الإلهية، ويلفقون لهم من الأكاذيب في ذلك عجائب منها أنهم يدعون أنهم يخلصون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم من النار والعذاب، فيقول أحدهم: إنه يقف عند النار، فلا يدع أحدًا ممن يرتجيه ويدعوه يدخلها أو نحو هذا، وقد قال تعالى لسيد

---

(18) ((القواعد الأربع)) ص(46).

المرسلين صلى الله عليه وعليهم أجمعين: { أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ} [الزمر: 19] فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقدر على تخليص أحد من النار، فكيف بغيره، بل كيف بمن يدعي نفسه أنه هو يفعل ذلك؟

ومنها أن أكثرهم يلفق حكايات في أن بعض الناس استغاث بفلان فأغاثه، أو دعا الولي الفلاني فأجابه، أو في كربة ففرج عنه، وعند عباد القبور من ذلك شيء كثير، من جنس ما عند عباد الأصنام، الذين استولت عليهم الشياطين، ولعبوا بهم لعب الصبيان بالكرة.

ويوجد شيء من ذلك في أشعار المادحين لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، الذين جاوزوا الحد في مدحه صلى الله عليه وسلم و عصوه في نهيه من الغلو فيه، وإطرائه كما أطرت النصارى ابن مريم، وصار حظهم منه صلى الله عليه وسلم هو مدحه بالأشعار والقصائد، والغلو الزائد، مع عصيانهم له في أمره ونهيه؛ فتجد هذا النوع من أعصى الخلق له صلوات الله عليه وسلامه.

ويقع من ذلك كثير في مدح غيره، فإن عباد القبور لا يقتصرون على بعض من يعتقدون فيه الضر والنفع، بل كل من ظنوا فيه ذلك بالغوا في مدحه وأنزلوه منزلة الربوبية، وصرفوا له خالص العبودية، حتى إنهم إذا جاءهم رجل وادعى أنه رأى رؤيا مضمونها أنه دفن في المحل الفلاني رجل صالح، وبادروا إلى المحل وبنوا عليه قبة وزخرفوها بأنواع الزخارف، وعبدوها بأنواع من العبادات.

وأما القبور المعروفة أو المتوهمة، فأفعالهم معها وعندها لا يمكن حصره ، فكثير منهم إذا رأوا القباب التي يقصدونها كشفوا الرءوس فنزلوا

عن الأكوار، فإذا أتوها طافوا بها واستلموا أركانها، وتمسحوا بها، وصلوا عندها ركعتين، وحلقوا عندها الرءوس ووقفوا باكين متذللين متضرعين سائلين مطلبهم، وهذا هو الحج.

وكثير منهم يسجدون لها إذا رأوها، ويعفرون وجوههم في التراب تعظيما لها، وخضوعا لمن فيها، فإن كان للإنسان منهم حاجة من شفاء مريض أو غير ذلك، نادى صاحب القبر، يا سيدي فلان جئتك قاصدا من مكان بعيد، لا تخيبني .

وكذلك إذا قحط المطر، أو عقرت المرأة عن الولد، أو دهمهم عدو أو جراد، فزعوا إلى صاحب القبر، وبكوا عنده، فإن جرى المقدور بحصول شيء مما يريدون، استبشروا وفرحوا، و نسبوا ذلك إلى صاحب القبر، فإن لم يتيسر شيء من ذلك اعتذروا عن صاحب القبر بأنه إما غائب في مكان آخر، أو ساخط لبعض أعمالهم، أو أن اعتقادهم في الولي ضعيف، أو أنهم لم يعطوه نذره، ونحو هذه الخرافات .

ومن بعض أشعار المادحين لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم قول البوصيري:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم يكن في معادي آخذا بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

فتأمل ما في هذه الأبيات من الشرك.

منها: أنه نفى أن يكون له ملاذًا إذا حلت به الحوادث، إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس

للعباد ملاذ إلا هو.

الثاني: أنه دعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه، وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية.

الثالث: سؤاله منه أن يشفع له في قوله: ولن يضيق رسول الله ... البيت

وهذا هو الذي أراده المشركون ممن عبدوه، وهو الجاه و الشفاعة عند الله، وذلك هو الشرك، أيضا فإن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله، فلا معنى لطلبها من غيره، فإن الله تعالى هو الذي يأذن للشافع أن يشفع؛ لأن الشافع يشفع ابتداء.

الرابع : قوله: فإن لي ذمة... إلى آخره.

كذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فليس بينه وبين من اسمه محمد ذمة إلا بالطاعة ، لا بمجرد الإشراك في الاسم مع الشرك.

الخامس: قوله: إن لم يكن في معادي ... البيت

تناقض عظيم وشرك ظاهر، فإنه طلب أولاً أن لا يضيق به جاهه، ثم طلب هنا أن يأخذ بيده فضلاً وإحسانًا، وإلا فيا هلاكه.

فيقال: كيف طلبت منه هنا أن يتفضل عليك، فإن كنت تقول: إن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله، فكيف تدعو النبي صلى الله عليه وسلم و ترجوه وتسأله الشفاعة؟ فهلا سألتها من له الشفاعة جميعًا الذي له ملك السموات والأرض الذي لا تكون الشفاعة إلا من بعد إذنه، فهذا يبطل عليك طلب الشفاعة من غير الله.

وإن قلتَ ما أريد إلا جاهه وشفاعته بإذن الله.

قيل : فكيف سألته أن يتفضل عليك ويأخذ بيدك في يوم الدين، فهذا مضاد لقوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ} [الانفطار: 17-19] فكيف يجتمع في قلب عبد الإيمان بهذا وهذا.

وإن قلت : سألته أن يأخذ بيدي، ويتفضل علي بجاهه وشفاعته.

قيل: عاد الأمر إلى طلب الشفاعة من غير الله، وذلك هو محض الشرك.

السادس: في هذه الأبيات من التبري من الخالق - تعالى وتقدس. الاعتماد على الملخوق في حوادث الدنيا والآخرة ما لا يخفى على مؤمن(19) .

12- انتشار أهل البدع التي قد تقدح في التوحيد أوفي كماله ونشاطهم في دعوتهم.

ومن هذه البدع بدعة الروافض، والمعتزلة، والأشاعرة وهي منتشرة اليوم ولها مصادرها التي تمولها و تشجعها وتساندها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((والرافضة كفرَّت أبا بكر وعمر وعثمان وعامة المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفروا جماهير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من المتقدمين والمتأخرين...

ويكفرون أعلام الملة ... ويستحلون دماء من خرج عنهم، ويسمون

(19) تيسير العزيز الحميد ص(220-224).

مذهبهم مذهب الجمهور ... ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى؛ لأن أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي... ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين... فهم أشد ضررًا على الدين وأهله، وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج الحروية، ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة... وقد أشبهوا اليهود في أمور كثيرة، لا سيما السامرة من اليهود... ويشبهون النصارى في في الغلو في البشر والعبادات المبتدعة، وفي الشرك وغير ذلك))[20].

ولعل قائلٌ يقول: وأين أولئك النفر من الروافض، الذين حكي معتقدهم شيخ الإسلام ابن تيمية اليوم، فأقول: اقرأ أخا التوحيد حتى لا تخدع، وإليك البيان:

جاء في ((الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة)): ((الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، من معتقداتهم: يعتقدون بوجود مصحف لديهم اسمه مصحف فاطمة : ويروى الكليني في كتابه ((الكافي)) في صفحة 57 طبعة 1278هـ عن أبي بصير - أي جعفر الصادق-: ((وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت : و ما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه حرف واحد من قرآنكم)) .

البراءة: إنهم يتبرءون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وينعتونهم بأقبح الصفات لأنهم - كما يزعمون- اغتصبوا الخلافة دون علي الذي هو أحق منهم بها، كما يبدءون بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمر ذي بال، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن.

---

(20) ((مجموع الفتاوى)) (28/477-483) باختصار وتصرف.

ولا يتورعون عن نيل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالطعن واللعن.

المغالاة: بعضهم غالي في شخصية على رضي الله عنه، والمغالون من الشيعة رفعوه إلى مرتبة الألوهية كالسبئية، وبعضهم قالوا بأن جبريل قد أخطأ في الرسالة؛ فنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، بدلاً من أن ينزل على علي[21].

قلت: هذا أخا العقيدة بعض معتقداتهم الضالة الباطلة التي تقشعر منها الأبدان.

أما مناطق نفوذهم وانتشارهم:

فـ ((تنتشر فرقة ((الإثنا عشرية)) من الإمامية الشيعة الآن في إيران وترتكز فيها، ومنهم عدد كبير في العراق، ويمتد وجودهم إلى باكستان، كما أن لهم طائفة في لبنان، أما في سوريا فهناك طائفة قليلة منهم، لكنهم على صلة وثيقة بالنصيرية الذين هم من غلاة الشيعة)) [22].

((وهم يتطلعون إلى نشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامي)) [23].

أما المعتزلة فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

((وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات، ويقاربون قول جهم، لكنهم ينفون القدر، فهم وإن عظموا الأمر والنهي، والوعد والوعيد وغلوا فيه، فهم يكذبون بالقدر، ففيهم نوع من الشرك من هذا الباب، والإقرار بالأمر والنهي والوعد والوعيد مع إنكار القدر خير من الإقرار بالقدر مع إنكار

---

(21) ((الموسوعة الميسرة)) ص (301-303).
(22) المرجع السابق ص (304).
(23) المرجع السابق ص(299).

الأمر والنهي والوعد والوعيد... فهؤلاء المتصفون الذين يشهدون الحقيقة الكونية مع إعراضهم عن الأمر والنهي شر من القدرية المعتزلة ونحوهم، أولئك يشبهون المجوس، وهؤلاء يشبهون المشركين)) (24).

ويقول رحمه الله: ((المشهور من مذهب الإمام أحمد، وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية؛ وهم المعطلة لصفات الرحمن، فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب، وحقيقة قولهم جحود الصانع، ففيه جحود الرب وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله؛ ولهذا قال عبدالله بن المبارك: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

وقال غير واحد من الأئمة : إنهم أكفر من اليهود والنصارى؛ يعنون من هذا الجهمية، ولهذا كفروا من يقول: إن القرآن مخلوق، وإن الله لا يرى في الآخرة، وإن الله ليس على العرش، وإن الله ليس له علم، ولا قدرة، ولا رحمة، ولاغضب، ونحو ذلك من صفاته)) (25).

قلت: لا يهو لنك الأمر أخا العقيدة، وكأني بك تقول: وأين من يعتقد مذهب المعتزلة اليوم ويدين بدينهم، وكأني بك تقول: إنها فرقةٌ بائدة مندثرة.

أقول لك: رويدك حتى تقرأ ما سأنقله لك:

جاء في ((الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة)):

---

(24) ((مجموع الفتاوى)) (3/103-104).

(25) ((مجموع الفتاوى)) (12/ 486، 487)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية (521)، وشرح لمعة الاعتقاد (124).

((الإباضية فرقة... من فرق الخوارج...)) (26).

((من أفكارهم ومعتقداتهم:

- لا يقولون برؤية الله تعالى في الآخرة.

- يؤولون بعض مسائل الآخرة تأويلاً مجازيًا كالميزان والصراط.

- صفات الله ليست زائدة على ذات الله، ولكنها هي عين الذات.

- القرآن لديهم مخلوق.

- مرتكب الكبيرة كافر، ولا يمكن في حال معصيته وإصراره عليها- أن يدخل الجنة إذا لم يتب منها)) (27).

هذه بعض معتقداتهم الباطلة فقارنها بما ذكر شيخ الإسلام من عقائد المعتزلة ... و أنت الحكم.

أما عن تواجدهم وأما كن نفوذهم: فقد ((كانت لهم صولة وجولة في جنوبي الجزيرة العربية، حتى وصلوا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، أما في الشمال الأفريقي فقد كانت لهم دولة عرفت باسم ((الدولة الرستمية)) وعاصمتها تاهرت.

لقد حكموا الشمال الأفريقي حكمًا متصلاً مستقلاً زهاء مائة وثلاثين سنة حتى أزالهم الفاطميون.

---

(26) ((الموسوعة الميسرة)) ص (15) قلت: وخوارج اليوم يدينون بعقائد المعتزلة في كثير من أبواب الدين، وكذا الشيعة الزيدية فإباضية اليوم جمعوا بين فرقتين الخوارج والمعتزلة، وهكذا أهل الباطل في كل زمان ومكان مخلطون مضطربون.

(27) المرجع السابق ص(16، 17).

- لقد قامت للإباضية دولة مستقلة في عمان، وتعاقب على الحكم فيها إلى العصر الحديث أئمة إباضيون.

من حواضرهم التاريخيه جبل نفوسة بليبيا؛ إذ كان معقلاً لهم، ينشرون منه المذهب الإباضي، ومنه يديرون شئون الفرقة الإباضية.

ما يزال لهم وجود إلى وقتنا الحاضر، في كل من: عُمان وحضرموت واليمن وليبيا وتونس و الجزائر، وفي واحات الصحراء الغربية)) (28) .

ها هي المعتقدات وها هي الدعوات لها أعوان وأنصار فأين أنتم يا أنصار التوحيد، وأين الاجتهاد في نصر معتقد أهل السنة والتوحيد.

أما الأشاعرة، وهم منتشرون في كثير من أنحاء العالم الإسلامي وجامعاته.

((عرف كثير من الأشعرية كلة (إله) بأنه القادر على الاختراع، فمن ذلك ما نسبه البغدادي إلى أبي الحسن الأشعري فقال: ((واختلف أصحابنا في معنى الإله: فمنهم من قال إنه مشتق من الإلهية، وهي قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري))(29) .

قارن تعريفهم هذا بكلام أهل السنة في تعريف (الإله):

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الإله هو المعبود المطاع.

وقال ابن القيم : الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وإنابة وإكرامًا وتعظيمًا وذلاً وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلاً.

---

(28) المرجع السابق ص (19).

(29) ((أصول الدين)) للبغدادي ص: 123.

والجواب عن تعريف الأشاعرة للإله أن يقال:

لو كان معنى الإله: القادر على الاختراع كان معنى لا إله إلا الله ولا قادر على الاختراع إلا هو، وهذا المعنى كان يقول به المشركون، ولذلك يحتج الله عليهم بمعرفتهم هذه بقوله {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22] أي تعلمون أنه لا رب لكم غيره، كما نُقل ذلك عن جمع من المفسرين.

وقال عز وجل

فلو كان المعنى ما ذكره هؤلاء المتكلمون لما استقام الإنكار على المشركين الذين يقرون بأن الله هو خالقهم وخالق كل شيء، وإنما كان شركهم في الألوهية.

ويقال أيضًا ردًا على تعريفهم هذا: إن هذا القول غير معروف عند أهل اللغة، ولذلك لم يحتج من قال بهذا القول بشاهد من شواهد لغة العرب ولا بنقل إمام معتبر من أئمة اللغة.

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بعد أن ذكر أقوال أهل السنة في معنى الإله: ((وهو إجماع منهم أن الإله هو المعبود، خلافًا لما يعتقده عباد القبور وأشباههم في معنى الإله أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات ويظنون أنهم إذا قالوها بهذا المعنى فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى، ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله، كدعاء الأموات، والاستغاثة بهم في الكربات)).

ويمضي الشيخ فيبين أن مشركي قريش قد فهموا معنى كلمة (إله) على أنه لا معبود بحق إلا الله، ويرد على أولئك الذين زعموا أن معناها لا خالق إلا الله أو لا قادر على الاختراع إلا الله: ((لو كان معناها ما زعمه هؤلاء

الجهال، لم يكنى بين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبينهم نزاع، بل كانوا يبادرون إلى إجابته ويلبون دعوته إذ يقول لهم: قولوا: لا إله إلا الله، بمعنى أنه لا قادر على الاختراع إلا الله، فكانوا يقولون: سمعنا وأطعنا قال الله تعالى {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف: 87] {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}[الزخرف:9] {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ} [يونس: 32] إلى غير ذلك من الآيات

لكن القوم أهل اللسان العربي فعلوا أنها تهدم عليهم دعاء الأموات والأصنام من الأساس، تكسب بناء سؤال الشفاعة من غير الله، وصرف الإلهية لغيره لأم الرأس، فقالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر:3] {هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ}[يونس: 19]))(30).

فقارن بين معنى (الإله) عند الأشاعرة ومعناه عند السلف الأبرار، وما يلزم من تعريفهم من أن ((لا إله إلا الله)) ، فلا يصلح تعريفهم هذا للاعتراض على عباد القبور والمشركين في الألوهية.

وأول واجبٌ على المكلف عند أهل السنة هو إفراد الله بالعبادة المتضمن إفراده سبحانه بالخلق والرزق والتدبير.

((أما الأشاعرة فقد اختلفت عباراتهم في أول واجب على المكلف بعد أن اتفقوا على أن الأمر بعبادته ليس أول واجب

فحكى الأشاعرة عن الأشعري القول بأن أول واجب على المكلف هو

---

(30) تيسير العزيز الحميد.

المعرفة(31) والمعرفة عندهم معناها معرفة وجود الله وتفرده بخلق العالم.

وعند الباقلاني أول واجب: النظر فقال: ((أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد النظر في آياته....))(32)

وأول واجب على المكلف عند الجويني القصد إلى النظر فقال: ((أول ما يجب على العاقل البالغ باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعًا، القصد إلى النظر الصحيح...))(33)

وقال شارح الجوهرة محاولاً الجمع بين هذه الأقوال: ((والأصح أن أول واجب قصدًا: المعرفة، وأول واجب وسيلة قريبة: النظر، ووسيلة بعيدة: القصد إلى النظر))(34)

فقولهم إن أول واجب على الملكف هو النظر الصحيح المفضي إلى معرفة الله يناقض أمرين:

أولهما:أن الإقرار بمعرفة الله أمر مركوز في الفطر.

قال عزوجل {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: 30]

وقال صلى الله عليه وسلم : ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمحسانه أو ينصرانه))(35)

---

(31) انظر ((شرح جوهرة التوحيد)) ص:37.
(32) ((الإتصاف)) - للباقلاني ص: 33.
(33) ((الإرشاد)) ص:25.
(34) شرح الجوهرة للبيجوري ص:38.
(35) متفق عليه أخرجه البخاري رقم (1359)، ومسلم رقم (2658).

قال الشيخ السعدي -رحمه الله- في تعريف الفطرة: ((هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها وعلى محبة الخير وإيثاره وكراهية الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه))(36)

وأما الأمر الثاني الذي ناقضوه بقولهم هذا فهو أن المعروف بالكتاب والسنة والإجماع أن أول ما يجب على المكلفين هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وقد تقدم الكلام على ذلك(37))).

والأشاعرة بيخالفون أهل السنة أيضًا في الإيمان ، والقرآن، والقدر، والصفات، والتحسين والتقبيح، بل وفي مادر التلقي وغيرها كثير.

وإليك البيان:

- مصدر التلقي:

((مصدر التلقي عند الأشاعرة هو العقل وقد صرح الجويني والرازي والبغدادي والغزالي والأمدي والإيجي وابن فورك والسنوسي وشراح الجوهرة، وسائر أئمتهم بتقديم العقل على النقل عند التعارض)) (38)

- الإيمان:

الأشاعرة في الإيمان مرجئة جهية أجمعت كتبهم قاطبة على أن الإيمان

---

(36) بهجة قلوب الأبرار ص: 64.

(37) انظر ص:

(38) منهج الأشاعرة في العقيدة -للشيخ سفر الحوالي ص(18) وانظر درء التعارض-للإمام ابن تيمية- ((أساس التقديس)) - للرازي (168-173)، الشامل للجويني (561)، ((المواقف)) للإيجي (561).

هو التصديق القلبى، واختلفوا في النطق بالشهادتين أيكفي عنه تصديق القلب أم لا بد منه، قال صاحب الجوهرة:

وفسر الإيمانه بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق.

... وقد أو لوا كل آية أو حديث ورد فيه زيادة الإيمان ونقصانه أو وصف بعض شعبه بأنها إيمان أو من الإيمان(39) .

وقد أطال شيخ الإسلام -رحمه الله- الرد عليهم بأسمائهم(40) كالأشعري، والباقلاني والجويني وشراح كتبهم وقرر أنهم على مذهب جهم بعينه(41).

القرآن:

ومنهج الأشاعرة فيه -كما في غيره- قائمٌ على التلفيق الذي يسميه الأشاعرة المعاصرون ((التوفيقية)) حيث انتهج التوسط بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة في كثير من الأصول فتناقض واضطرب.

فمذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع تسمعه الملائكة، وسمعه جبريل، وسمعه موسى -عليه السلام- ويسمعه الخلائق يوم القيامة.

ومذهب المعتزلة أنه مخلوق.

أما مذهب الأشاعرة فمن منطلق التوفيقية -التي لم يحالفها التوفيق- فرقوا

---

(39) انظر ((الإنصاف)) -للباقلاني (22)، ((الإرشاد)) -للجويني 397، المواقف- للإيجي (384).
(40) وذلك في كتاب ((الإيمان)) وغيره من مصنفاته.
(41) منهج الأشاعرة ص(22).

بين المعنى واللفظ فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى أزلي أبدي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا الإنشاء.

أما الكتب المنزلة ذات الترتيب والنظم والحروف -ومنها القرآن- فليست هي كلامه تعالى على الحقيقة بل هي عبارة عن كلام الله النفسي شيء واحد في ذاته لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو توراة وإن جاء بالسريانية فهو إنجيل، وإن جاء بالعربية فهو قرآن، فهذه الكتب كلها مخلوقة ووصفها بأنها كلام الله مجازًا لانها تعبيرٌ عنه.

واختلفوا في القرآن خاصة فقال بعضهم: ((إن الله خلقه أولاً في اللوح المحفوظ ثم أنزله في صحائف إلى سماء الدنيا)) فكان جبريل يقرأ هذا الكلام المخلوق ويبلغه لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون: إن الله أفهم جبريل كلامه النفسي وأفهمه جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم فالنزول نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال -لأنهم ينكرون علو الله ثم اختلفوا في الذي عبر عن الكلام النفسي بهذا اللفظ والنظم العربي من هو؟ فقال بعضهم: هو جبريل، وقال بعضهم: بل هو محمد صلى الله عليه وسلم واستدلوا بمثل قوله تعالى {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} في سورتي الحاقة والإنشقاق حيث أضافه في الأولى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وفي الأخرى إلى جبريل بأن اللفظ لأحد الرسولين ((جبريل أو محمد)) وقد صرح الباقلاني بالأول وتابعه الجويني.

قال شيخ الإسلام: ((وفي إضافته تعالى إلى هذا الرسل تارة وإلى هذا تارة دليل على أنه إضافة بلاغ وأداء لا إضافة إحداث لشيء منه وإنشاء كما يقول بعض المبتدعة الأشعرية من أن حروفه ابتداء من جبريل أو محمد مضاهاة في نصف قولهم لمن قال أنه قول البشر من مشركين

العرب))[42].

القدر:

أراد الأشاعرة هنا أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية فجاءوا بنظرية الكسب وهي في مالها جبرية خالصة لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير ما حقيقتها النظرية الفلسفية فقد عجز الأشاعرة أنفسهم عن فهمها فضلاً عن إفهامها لغيرهم ولهذا قيل:

مما يقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنوا إلى الأفهام

الكسب عند الأشعري والحال عند البهشمي وطغرة النظام[43].

الصفات:

مسالة الصفات من أعظم المسائل التي خالف فيها الأشاعرة أهل السنة والجماعة، ومنهجهم في هذا الباب مضطرب، وهم متفاوتون فيه متقدميهم ومتأخريهم.

يقول اللقاني في الجوهرة:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

يقول البيجوري في شرحه:

---

(42) مجموع الفتاوى، نقلاً عن منهج الأشاعرة ص24 وانظر حول مذهب الأشاعرة في القرآن: ((الإنصاف)) (96-97) ، الإرشاد (128-137)، ((أصول الدين)) (107) المواقف (293) وانظر الرد عليهم في التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرها من كتبه.

(43) انظر حول هذا المبحث: الإنصاف (45-46)، الإرشاد (187-203)، أصول الدين (133)، المواقف (311)، شفاء العليل (259-261).

(((أوله) أي إجمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد، فالمراد: أوله تأويلاً تفصيليًا بأن يكون فيه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف: وهم من كانوا بعد الخمسمائة، وقيل من بعد القرون الثلاثة.

وقوله: (أوفوض) أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف(44)

يقول: وطريقة الخلف أعلم وأحكم، لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم، وهي الأرجح، ولذلك قدمها الناظم، وطريقة السلف أسلم: لما فيها من السلامات من تعيين معنى(45) قد يكون غير مراد))(46).

التحسين والتقبيح:

ينكر الأشاعرة أن يكون للعقل والفطرة أي دور في الحكم على الأشياء بالحسن والقبح، ويقولون مرد ذلك إلى الشرع وحده، وهذا رد فعل مغال: لقول البراهمة والمعتزلة أن العقل يوجب حسن الحسن وقبح القبيح، وهو مع منافقاته للنصوص مكابرة للعقول(47) .

---

(44) نسبة التفويض إلى مذهب السلف من الزور والبهتان الذي نسبه إليهم متأخري الأشاعرة فمذهب السلف إثبات معاني الصغات وتفويض كيفيتها لا تفويض المعنى، كما يزعم المخالفون.

وانظر فتح رب البرية بتلخيص الحوية (62) وما بعدها.

(45) قد تبين لك في التعليق السابق أن السلف يثبتون المعنى ويفوضون الكيف، فتأمل.

(46)

(47) منهج الأشاعرة (28) وانظر كلامهم في: نهاية الإقدام (370)، غاية المرام (234)، المواقف (323)، وانظر ردود شيخ الإسلام عليهم الفتاوى (8/432-

هذه بعض المسائل التي خالف فيها الأشاعرة أهل السنة والجماعة وهي بعضٌ من كل(48)

فليت شعري ماذا يقول المزهدون في دراسة التوحيد، والزهدون في بيان بطلان عقائد الفرق المخالفة لمنهج السلف.

13- وجود من يزهد في دراسة التوحيد أو في بعض مسائل التوحيد:

وهذا أمرٌ خطير فتجد بعض الناس يقول دعوكم من أمور الأسماء والصفات، واهتموا بالمذاهب الكفرية المعاصرة من علمانية وشيوعية.

وتجد آخر يقول: نريدأن نقاتل اليهود أولاً، ثم ادرسوا ما شئتم من أمور العقيدة.

وثالث يقول: أنتم تشغلون الناس بأمور تفرق بينهم وتوقع العداوة والبغضاء.

ونحن نقول: بل نحن على دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم ، حيث أمره ربه أن يوضح سبيله وسبيل من اتبعه من المؤمنين: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} [ ].

فاثبت أخا التوحيد على نهج النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام،

وليكن أول ماتدعو إليه الناس ((أن يوحدوا الله)).

---

436)، التسعينية (247).

(48) ومن أراد مزيد تفصيل وبيان فليرجع إلى:

- منهج الأشاعرة في العقيد- لشيخنا سفر بن عبدالرحمن الحوالي.
- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله -لخالد نور.
- الرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد -لعمر بن محمود أبو عمر.

وإليكم مثال من كلام أولئك المزهدين، كتب بعض الأفاضل تحت عنان: ((إهالة التراب على المشكلات التاريخية، قال: ((نُريد من الفكر الجديد أن يهيل التراب على المشكلات التاريخية التي شغلت الفكر الإسلامي في وقت من الأوقات، وبددت طاقته في غير طائل ؛ مشكلة الذات والصفات، هل الصفات عين الذات أو غيرها؟ أوهي لا عين ولا غير؟

- مشكلة خلق القرآن، ما ترتب عليها من محنة لأئمة الإسلام.

- المبالغة في الكلام حول التأويل وعدمه بين السلف والخلف، والطعن على الأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم على نهجهم.

كل هذا لا ينبغي أن يكون مشغلة الفكر الذي نعده للمرحلة القادمة؛ ليواجه الصهيونية والصليبية والماركسية، والفلسفات الهدامة القادمة من الغرب والشرق)) [(49)].

14- وجود خلل في فهم التوحيد وقصره على بعض أجزائه:

بعض الدعاة الذين يدعون إلى دين الله عز وجل، تتوجه عنايتهم بدراسة نوع معين من أقسام التوحيد، ويعتنون به أشد العناية على حساب أقسام التوحيد الأخرى.

بل وصل الأمر ببعض أولئك أنهم إذا وجدوا أحدًا يتكلم في بعض المسائل المتعلقة بالتوحيد - ولكنها ليست من تلك المسائل التي يهتمون بها ويتكلمون فيها- عابوا على ذلك المتكلم، وقد ينكرون عليه.

فمثلاً هناك من يهتم بتوحيد الأسماء والصفات، وما يتفرع عنه من الحديث عن الفرق المنحرفة، ويهمل بقية أنواع التوحيد.

---

(49) ((أولويات الحركة)) ص(100).

وآخرون يهتمون ببعض توحيد الألوهية كالذبح لغير الله، أو دعاء الأموات والنذر لهم، والرياء، والحلف بغير الله، ونحوه، أماما عداه فلا يهتمون به، ولا يكاد يذكر عندهم، وإن ذكر فلا يعيره اهتمامه .

ومن تلك الأقسام التي يهملونها وجوب الخضوع لذي الجلال والإكرام، والتحاكم إلى شريعة الله، وما يترتب على ترك الحكم بما أنزل الله من عبادة الطاغوت .

وقسمٌ ثالث يقصرون التوحيد على إفراد الله بالحكم، ووجوب التحاكم إليه وحده، ويحذرون من الطواغيت والأرباب من دون الله، ولا يعنون ببقية أقسام التوحيد؛ من شرك الأموات، والحديث عن الفرق الضالة وانحرافها، وكذلك لا يعنون بتوحيد الأسماء والصفات .

وأزيد الأمر وضوحًا وأفصِّل فيه؛ لخطورة هذه المسألة وانتشارها بين كثير من الدعاة والهداة.

فمثلاً في بعض البلاد الإسلامية، وفي بعض المناطق، إذا تحدث أحد أو ألف فيما يتعلق بالبناء على القبور، وحكم من استغاث بغير الله أو نذر لغير الله قيل له : إن هذا يتحدث في أمور ذوقية. فإن تحدث متحدث عن الفرق وضلالها قالوا إنك تبث الفُرقة والخلاف.

أما إن تحدث عن وجوب تحكيم شريعة الله ونبذ ما سواها، قالوا: هذا يتكلم عن التوحيد، أما يعرفون أن من تحكيم شرع الله خضوع الإنسان في عبادته وحياته كلها لله سبحانه.

وآخرون: يصفون من يتحدث عن الأسماء والصفات، وخطورة الفرق على الأمة بأنه من دعاة التوحيد ومهتم بالتوحيد فضاف غيرها.

والخلاصة: أنك تجد كل فريق قد أخذ بقسم من أقسام التوحيد، وقصر

التوحيد عليه، وفسره به ، وأخرج عنه ما عداه .

أو صرف اهتمامه إلى جزء معين من أقسام التوحيد، وأهمل بقية أقسامه .

والمطلوب: هو فهمٌ شمولي للتوحيد؛ يهتم بجميع مسائله وأقسامه.

وقد سقت لكم آنفًا شيئًا من كلام أئمتنا في وجوب الإهتمام بكل قسم من أقسام التوحيد وأزيد هنا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((إن حقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده، فلا يُدعى إلا هو ، ولا يخشى إلا هو ولا يتقى إلا هو ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أربابًا، فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم)) [(50)].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في وصيةٍ له: ((فالله يا إخواني، تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره، وأسُهِ، ورأسه؛ شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها، وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين عنكم، واكفروا بالطواغيت، وعادوهم، وأبغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم أو لم يكفرهم، أو قال: ما علي منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلفه الله تعالى بهم، وافترض عليه الكفر بهم، والبراءة منهم، ولو كانوا إخوانهم وأولادهم.

فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئًا، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين)) [(51)].

---

(50) ((منهاج السنة)) (490/3).

(51) ((تفسير كلمة التوحيد)) - ضمن ((مجموعة التوحيد)) (252).

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز ((رحمه الله)) : ((والعبودية لله وحده، والبراءة من عبادة الطاغوت والتحاكم إليه من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

فالله سبحانه وتعالى هو رب الناس وإلههم، وهو الذي خلقهم، وهو الذي يأمرهم وينهاهم ويحييهم ويميتهم، ويحاسبهم ويجازيهم، وهو المستحق للعبادة دون كل ما سواه، قال تعالى {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ}[الأعراف:54] فكما أنه الخالق وحده، فهو الآمر سبحانه، والواجب طاعة أمره)) [52].

وقد كان سلفنا الصالح رحمهم الله يفهمون التوحيد فهمًا شاملاً متكاملاً، وصنفوا وتكلموا في كل الأقسام والأنواع.

فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ((رحمه الله)) نجده في كتبه وفتاويه يؤكد وجوب التمسك بتوحيد الله عز وجل، والبعد عن الشرك، ووجوب التزام منهج السلف في الصفات، و يرد على الصوفية والمعتزلة والأشاعرة، ويتكلم عن التتار والمغول وتبديلهم شرع الله وما جاءوا به من أنظمة وياسق ونحوها، ووجوب تحكيم شريعة الله.

وهذا ابن القيم في كتابه ((مدارج السالكين)) يقول: ((الاعتراض على الله على ثلاثة أنواع سارية بين الناس

1- الاعتراض على أسمائه وصفاته بالشُبه الباطلة.

2- الاعتراض على شرعه وأمره.

3- الاعتراض على أفعاله وقضائه وقدره.

---

(52) ((وجوب التحاكم إلى شرع الله ونبذ ما خالفه)).

ثم يبين كيفية هذا الاعتراض... وكان مما قال تحت القسم الثاني:

((ومنهم أهل الاعتراض بالسياسات الجائرة، التي لأرباب الولايات التي قدموها على حكم الله ورسوله. و حكموا بها بين عباده، وعطلوا لها وبها شرعه وعدله وحدوده .

وقال أصحاب السياسة: إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة.

فجعلت كل طائفة قبالة دين الله وشرعه طاغوتًا يتحاكمون إليه))[53] . اهـ.

ونجد ابن أبي العز الحنفي في ((شرح العقيدة الطحاوية)) قد بين أنواع التوحيد، ولم يقتصر على نوع دون الآخر .

وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب عقد أبوابًا في جميع أنواع التوحيد في كتابه الفريد ((كتاب التوحيد)) : ومن ذلك:

- باب تفسير التوحيد وشهادة لا إله إلا الله.
- باب ما جاء في الذبح لغير الله.
- باب ما جاء في الغلو في قبور الصالحين يصيرها أو ثانًا.
- باب ما جاء في السحر
- باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات
- باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله.

---

(53) ((مدارج السالكين)) ص: ( ).

- باب قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ} [النساء:60].

- باب ما جاء في منكر القدر.

إلى غير ذلك من الأبواب والمسائل التي تكلم عليها في كتابه.

15- ضعف أثر عقيدة التوحيد عند بعض المسلمين.

كل أمر معرفي يجب أن يمر بثلاث دوائر:

الأولى : الدائرة العلمية المعرفية.

الثانية: الوجدان والتفاعل.

الثالثة: العمل والتطبيق.

ولنأخذ مثالاً يوضح ذلك:

رجل جاءه خبر بوفاة عزيز لديه، فإنه يتأثر وينفعل ولو داخليا، ثم يقوم بما يجب عليه تجاه هذا الأمر، من صلاة عليه، وتعزية لأهله، والقيام ببعض حقوقه إن لزم الأمر.

فعلمه بالوفاة هو الدائرة الأولى وتأثره وتفاعله هو الدائرة الثانية. وقيامه بما يجب عليه الدائرة الثالثة.

وعلم التوحيد يجب أن يمر بهذه المراحل جميعًا.

فمثلا: يجب أن يعلم أن الله شديد العقاب، ثم يتفاعل مع هذا العلم فيخاف الله، ومن ثم يبتعد عن المعاصي، ويأتي بالأوامر خوفا من عقابه.

وعند التأمل في واقع كثير من المسلمين يجد الإنسان أنه لا ينقصهم العلم

المعرفي، فقد تجد الكثير منهم يعرف التوحيد بأقسامه و تفصيلاته، ولكن عندما نبحث في مدى تأثره وجدانيًا لا نلمس أي أثر لذلك، أو قد نجد أثرًا ضعيفًا لا يتناسب مع علمه ومعرفته.

فإذا انتقلنا إلى مرحلة التطبيق والعمل ندرك الخلل الكبير والفرق بين علمه وعمله، وهكذا كان بنو إسرائيل فمعهم علم غزير، ولكنهم لم يتأثروا ولم يعملوا.

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نفسر كثيرًا من الظواهر السلبية في حياة بعض المسلمين، فإنه لا ينقصهم العلم المعرفي، ولكن ينقصهم التفاعل والتأثر والعمل.

ولنضرب أمثلة من الواقع: فلو جئت إلى أحد المسلمين وقلت له من يرزقك لأجابك: إنه الله -جل وعلا-.

فإذا سألته: وما دليك؟ أجابك على الفور: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: 58]، وقد يزيد دليلا آخر فيقول: {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود:6].

ثم تأمل حال هذا الإنسان: يكد ليلاً ونهارًا وكأنه خلق لهذه الدنيا، فعبادته ضعيفة، وحقوق الأهل والأقارب مقطوعة، بل وحقوق النفس مضيعة.

ثم قد يقول لك أو لغيرك: إن فلانا يريد أن يقطع رزقي، وأخشى أن أموت من الجوع، ومن لأولادي من بعدي، ونحو هذه العبارات التي تدل على أن علمه المعرفي لم يتحول إلى حقيقة يتعامل معها في وجدانه وسلوكه، وإنما بقي علما معرفيًّا نظريًّا.

ومثال آخر: حب الله ورسوله: لا تجد مسلمًا إلا ويقول لك : إنه يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بل إن حبها أغلى لديه من كل محبوب.

ولكن انظر إلى تصرفه ومعاملاته وحياته لا تجد مصداق ذلك، فهو يقدم محبوب نفسه وشهوته على حب الله وأمره؛ ولذلك جاء قوله تعالى يعالج هذه القضية وهذا الخلل بين التصور والسلوك فقال سبحانه: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران: 31]، وصور هذه الحقيقة الإمام الشافعي فقال:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمرك في القياس شنيع

لو كان حبُّك صادقًا لأطعته إن المحــبَّ لمن يحبّ مطيعُ

وقل مثل ذلك في سائر مسائل الاعتقاد، وخصوصا لوازم الأسماء والصفات.

ومن هنا فإنه يجب على العلماء وطلاب العلم العناية بهذه القضية، وخصوصًا من يدرسون التوحيد، فلا يكتفون بتدريسها علما معرفيا نظريا، وإنما يجب أن يعنوا بأن يتفاعل معها المسلم وجدانيا {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال:2].

وكذلك عليهم أن يولوا جانب التطبيق أهمية قصوى؛ لأن العمل هو الثمرة من العلم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا} [النساء:136]، {قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا} [الحجرات:14].

وبهذا يتكامل التوحيد ويؤتي ثماره، وهذا معنى قول أبي عبدالرحمن السلمي: ما كنا نتجاز عشر آيات حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل، ولنتأمل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا

عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ} [الصف: 3،2].

16- جهل كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام بمعنى لا إله إلا الله ومقتضياتها ولوازمها.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: ((ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي و الإصرار عليها.

ومن عرف هذا عرف قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))[54] وقوله ((لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله))[55] . وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث، التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنها بعضهم منسوخة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنى لا يدخلها خالدًا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة. فإن النبي صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلا بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار.

---

(54) سبق تخريجه ص37.

(55) سبق الكلام عليه في شروط لا إله إلا الله.

بل لا بد من قول القلب، وقول اللسان.

وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي و الإثبات، ومعرفة حقيقة الألهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علما ومعرفة ويقينا وحالا: ما يوجب تحريم قائلها على النار.

وتأمل حديث البطاقة(56) التي توضع في كفةٍ، ويقابلها تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة و تطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها، ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، .. ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل هو أنه حصل له ما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات.

وتأمل أيضًا ما قام بقلب قاتل المائة(57) من حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية فجعل ينوء بصدره، ويعالج سكرات الموت؛ لأن ذلك كان أمرًا آخر، وإيمانا آخر، ولذلك أُلحِق بأهل القرية الصالحة.

وقريب من هذا ما قام بقلب البغي(58) التي رأت ذلك الكلب وقد اشتد به العطش، يأكل الثرى - فقام بقلبها ذلك الوقت - مع عدم الآلة، وعدم المعين، وعدم من ترائيه بعملها ما حملها على أن غررت بنفسها في نزول البئر

---

(56) أخرجه الإمام أحمد في المسند (213/2) والترمذي في الإيمان (295/7) رقم (2641).

(57) صحيح البخاري كتاب الأنبياء (ج512/6) رقم (3470) وصحيح مسلم كتاب التوبة (2118/4) رقم (2766).

(58) صحيح مسلم كتاب السلام (4/ 1761) رقم(2245).

وملء الماء في خفها، ولم تعبأ بتعرضها للتلف وحملها خفها بفيها وهو ملأن حتى أمكنها الرقي من البئر، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضربه، فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاء ولا شكورًا. فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء فغفر لها))[59].

وقد ورد في ((صحيح مسلم)) قوله صلى الله عليه وسلم : ((من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله[60])).

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله-: وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه[61].

ومن هنا نعلم فساد عقيدة المرجئة[62] : الذين يقولون: إن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأخروا العمل عن الإيمان.

ومن المعلوم أن كفار مكة قد علموا مراد النبي صلى الله عليه وسلم من كلمة لا إله إلا الله، فأبوا واستكبروا، ولم يك ينفعهم إيمانهم بأن الله واحد

---

(59) مدارج السالكين لابن القيم (1/330-332) بتصرف بسيط.
(60) صحيح مسلم كتاب الإيمان (1/53) رقم (23).
(61) كتاب التوحيد ص(115) مع فتح المجيد.
(62) المرجئة:من الارجاء. بمعنى التأخير، وهم يقولون أن الإيمان هو الاقرار فقط. انظر مقالات الاسلاميين للأشعري (1/ 214) والفرق بين الفرق لبغدادي ص(202).

رازق يحيى مميت. ولما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : قولوا : لا إله إلا الله قالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص:5].

((فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاذق من يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الأمر كله إلا الله، فلا خير في رجل، جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله))(63) .

ويتابع الإمام محمد بن عبدالوهاب رده عليهم فيقول: وهنا شُبُهَةٌ: وهي قول من يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال: ((لا إله إلا الله))(64) .

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ((أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله))(65) . وأحاديث أُخر، في الكف عمن قالها؟!.

ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر، ولا يقتل ولو فعل ما فعل(66) .

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم، وهم يقولون:((لا إله إلا الله)) ، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا

---

(63) مؤلفات الإمام محمد بن عبدالوهاب (5/ 15 ط1).
(64) في صحيح مسلم كتاب الإيمان ج1/ 97 ح97.
(65) انظر صحيح مسلم كتاب الإيمان ج1 ص1/ ح20.
(66) وهذه هي دعوى المرجئة. إنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار [67].

وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها.

فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعًا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟!

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث . فمعلوم أن الرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا} [النساء:94] أي فتثبتوا، فدلت الأية على وجوب الكف حتى يتثبت منه، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: {فَتَبَيَّنُوا} ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

وأيضًا أمره صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج: ((أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)) [68] مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحًا، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم. وقد تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم ((لا إله إلا الله)) ، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام؛ لما ظهر منهم مخالفة الشريعة[69].هـ

ويعلم كل ذي لب أنها لو كانت كلمة -مجرد كلمة- لكان أمرها على قريش سهلا فتنطقها، وتتخلص من هذا العناء وتسفيه الآلهة!

---

(67) هم الغلاة الذين ادعوا ألوهية علي رضي الله عنه.

(68) صحيح مسلم كتاب الزكاة ج2/ 742 ح 1064.

(69) كشف الشبهات ص .

ولكنها تعلم أن هذه الكلمة لها مدلولها الذي يغير أوضاع قريش الجاهلية ولها مقتضياتها التي تحطم طغيان قريش واستعبادها للناس.

ولها أهميتها في تحرير الناس من عبودية بعضهم لبعض إلى عبودية الواحد القهار، وجعل التقوى هي الميزان والفخار الذي ينشده الناس، وليس العادات والتقاليد الجاهلية التي توارثها الأبناء عن الأباء والأجداد.

فحري بكل مسلم جاد في إسلامه أن يقدر لهذه الكلمة قدرها، حتى يكون ممن عبد الله على بصيرة وعلم ويقين .

17- انتشار كثير من نواقض التوحيد في هذه الأزمان، مع جهل كثير من المسلمين بهذه النواقض.

((إن نواقض الإيمان أعظم الذنوب على الإطلاق. فمن ارتكب ناقضًا من تلك النواقض فقد خرج من الملة، فلا يبقى إيمان مع وجود أحد هذه النواقض، فهي تحبط جميع الطاعات إضافة إلى أن الله تعالى لا يغفر لمن مات عليها، بل صاحبها مخلد في نار جهنم، كما جاء ذلك في كتاب الله تعالى قال عز وجل {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}[آل عمران: 91] {وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[المائدة:5] {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}[محمد:34].

ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- مسألة التكفير وما يترتب عليها من نتائج وتبعات كان مما قاله:

((اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة

والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان)) (70).

ونظرًا لخطورة هذه النواقض، فإنه يتعين علينا العلم بها، ومعرفة أنواعها، فينبغي استبانة سبل الكافرين، مخافة الوقوع فيها.

قال عز وجل {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: 55].

يقول ابن القيم - في هذا المقام-: ((والله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة.

فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده، والطريق الموصل إلى الهلكة، فهؤلاء أعلم الخلق و أنفعهم للناس وأنصحهم لهم، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة؛ فإنهم نشئوا في سبيل الضلال و الكفر والشرك، وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الشرك إلى التوحيد... فعرفوا مقدار ما نالوه، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يُظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها.

فاللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما، كما قال عمر

---

(70) ((مجموع الفتاوى)) (468/12).

رضي الله عنه: ((إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية))

وهذا من كمال علم عمر رضي الله عنه... ، فمن لم يعرف سبيل المجرمين، ولم تستبن له، أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة في أمور كثيرة))[71] .

ويقول حذيفة رضي الله عنه: ((كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ...))[72] .

ويبين الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمهم الله- أهمية هذا الموضوع قائلاً: ((أعلم أن هذه المسائل من أهم ما ينبغي للمؤمن الاعتناء بها؛ لئلا يقع في شيء منها وهو لا يشعر، وليتبين له الإسلام والكفر، حتى يتبين له الخطأ من الصواب، ويكون على بصيرة في دين الله، ولا يغتر بأهل الجهل والارتياب وإن كانوا هم الأكثرين عددًا، فهم الأقلون عند الله. وعند رسوله والمؤمنين قدرًا))[73] .

ومع ظهور هذه النواقض، ووجوب الحذر منها، إلا أن الناظر إلى واقع بلاد المسلمين عمومًا، يرى أن هذه النواقض قد عمت وطمت الكثير من تلك الديار؛ فيشاهد ويسمع ويقرأ مظاهر متنوعة و أنماطًا مختلفة لما يناقض الإيمان، كما صارت هذه النواقض أمرًا مألوفًا، بل تجاوز الأمر ذلك...، فسميت تلك النواقض بأسماء محببة للنفوس، ترويجًا لها وتضليلاً للناس.

((ومما يؤكد أهمية هذا الموضوع، أن موقف الكثير من المسلمين أمام

---

(71) ((الفوائد)) (101، 102) باختصار.
(72) أخرجه البخاري، كتاب الفتن (35/3) ومسلم كتاب الإمارة (1847).
(73) ((الدرر السنية)) (118/8).

تلك النواقض لا يخلو من غلو، أو جفاء، فهناك من غلا وتشدد أمام تلك النواقض، فأدخل في النواقض ما ليس منها.

وفي المقابل نجد أقوامًا قد تساهلوا في أمر هذه النواقض، فجعلوها مجرد محرمات لا تخرج من الملة.

وهدى الله تعالى أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فقرروا هذه المسألة بعلمٍ وعدل))(74)

18- ضعف الولاء والبراء.

قال عز وجل: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة:51].

وقال سبحانه: {لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة:22]

وقال سبحانه: {وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} [هود:113].

وقال تعالى {تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة:80-81].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الآية: ((فَذَكَر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط، وجد المشروط بحرف ((لو)) التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط فقال: {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا

---

(74) ((نواقض الإيمان القولية و العملية)) ص(3-6).

اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ} فدل على أن الإيمان المذكور ينفي إتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ...))[75].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله))[76].

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: ((فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله و البغض في الله، والمعاداة في الله و الموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقانًا بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان))[77].

ويقول الشيخ حمد بن عتيق: ((فأما معاداة الكفار والمشركين: فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد، وتحريم ضده))[78].

ومن مظاهر الموالاة لأعداء دين الله:

---

(75) ((الإيمان)) لابن تيمية ص(14).

(76) أخرجه أحمد (286/4)، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (110)، و الحاكم (480/2)، وحسنه الألباني في ((الصحيحة)) رقم (1728).

(77) ((رسالة أوثق عرى الإيمان)) ص:(38).

(78) ((النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك)) ضمن ((مجموعة التوحيد)) ص: (363).

أ- طاعة الكفار في التشريع و التحليل والتحريم، وإظهار موافقتهم على ذلك.

قال عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [آل عمران:149].

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب -عند هذه الآية-: ((أخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفًا منهم، وهذا هو الواقع؛ فإنهم لا يقتنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة و البغضاء للمسلمين))(79).

ب- التشبه المطلق بهم، أو التشبه بهم فيما يوجب الكفر والخروج عن الملة.

قال صلى الله عليه وسلم ((من تشبه بقوم فهو منهم))(80).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالى: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة:51].

فقد يحمل هذا على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم، في القدر المشترك الذي شابههم فيه

---

(79) ((الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك)) ص(33).

(80) أخرجه أبو داود (314/4) وأحمد (50/2) وقال ابن تيمية في ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (236/1): ((إسناده جيد)). وحسنه الألباني ((صحيح الجامع)) (6025).

. فإن كان كفرًا، أو معصية أو شعارًا لهم كان حكمه كذلك، وبكل حال يقتضي تحريم التشبه))[81] .

ومن صور التشبه بالكفار المنتشرة بين المسلمين:

- مشاركة الكفار في أعيادهم، هي محرمة على أقل الأحوال.

قال عزوجل مثنيًا على عباده المؤمنين، فوصفهم بقوله {وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ} [الفرقان: 71].

قال بعض السلف: الزور: أعياد المشركين[82] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((إن الأعياد من جملة الشرع و المناهج والمناسك التي قال الله سبحانه: {لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ} [الحج:67]، كالقبلة والصلاة، و الصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد، وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر، والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر، و أظهر شعائره. ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة بشروطه))[83] .

ويقول أيضًا: ((إنه إذا سوغ فعل القليل من ذلك، أدى إلى فعل الكثير، ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس، وتناسوا أصله حتى يصير عادةً للناس، بل عيدًا، حتى يضاهى بعيد الله، بل قد يزاد عليه، حتى يكاد أن

---

(81) ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (237/1، 238).
(82) انظر ((تفسير ابن جرير)) (29/19) و ((الدر المنثور)) (282/6).
(83) ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (471/1).

يفضي إلى موت الإسلام وحياة الكفر، كما قد سوله الشيطان لكثير ممن يدعي الإسلام، فيما يفعلونه في أواخر صوم النصارى من الهدايا والأفراح، والنفقات وكسوة الأولاد، وغير ذلك مما يصير به مثل عيد المسلمين)).

ويقول الإمام الذهبي: ((قد أوجب الله عليك -ياهذا المسلم- أن تدعو الله تعالى كل يوم وليلة سبع عشرة مرة بالهداية إلى الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

فكيف تطيب نفسك بالتشبه بقوم هذه صفتهم، وهم حطب جهنم؛ ولو قيل لك: تشبه بمسخرة؛ لأنفت من ذلك وغضبت؛ وأنت تتشبه بأقلف عابد صليب في عيده، وتكسوه صغارك، وتفرّحهم، وتصبغ لهم البيض، وتشتري البخور، وتحتفل بعيد عدوك؟!...

فأين يُذهب بك، إن فعلت ذلك، إلا إلى مقت الله وسخطه- إن لم يغفر الله لك- إن علمت أن نبيك محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يحض على مخالفة أهل الكتاب، في كل ما اختصوا به))[84].

ج- ومن الموالاة التي تناقض الإيمان الدعوة إلى وحدة الأديان: وخلاصة هذه الدعوة : إزالة الخلاف العقدي، وإسقاط الفوارق الأساسية فيما بين تلك الديانات؛ ذلك من أجل توحيد هذه الملل المختلفة، على أساس الاعتراف بعقائدهم وصحتها.

وقد يطلقون على هذه الوحدة المزعومة بين الديانات الثلاث ((الإسلام والنصرانية واليهودية)) ما يسمى بالديانة الإبراهيمية، أو الديانة العالمية.

وقد نشأت هذه الدعوات المضللة في أحضان التنصير، والصهيونية

---

(84) ((تشبيه الخسيس بأهل الخميس)) للذهبي ص(21-23).

العالمية(85).

أقسام الناس في الموالاة والمعاداة:

القسم الأول: من عبدالله ووحده، ولكنه لم ينكر الشرك ولم يعاد أهله فهو وإن وحد الله فتوحيده فاسد، لعدم كفره بالطاغوت، فالإنسان لا يصير مؤمنًا إلا بالكفر بالطاغوت، قال تعالى: {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}(86).

القسم الثاني: من عادى المشركين ولم يكفرهم.

فهذا النوع لم يأت بما دلت عليه (لا إله إلا الله) من نفي الشرك وما تقتضيه من تكفير من فعله، وهذا الأمر هو مضمون سورة الإخلاص، وسورة الكافرون، وآيات من سورة الممتحنة، فمن لم يكفر من صرح القرآن الكريم بكفره، فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد، وما يوجبه في حق الناس من حب وعداوة وإيمان وكفر(87) .

القسم الثالث: من لم يحب التوحيد ولم يبغضه:

وهذا الصنف للأسف الشديد هو الغالب وجوده بين المسلمين في هذا العصر، ومثل هذا الصنف من الناس لم يكن موحدا لله تعالى حق التوحيد لأن التوحيد الحقيقي هو الرضا بالدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، قال تعالى {وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا}(88) . فلو رضي بما رضي الله به،

---

(85) انظر ((الاتجاهات الوطنية)) لمحمد محمد حسين (318/2-230) وانظر ما سيأتي ص( ).

(86) سورة البقرة آية (256).

(87) انظر الدرر السنية ج2 ص95-97 وانظر مجموعة التوحيد ص36.

(88) سورة المائدة آية (3).

وعمل به لأحبه، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد والعمل به، ومحبة أهله، فالإخلاص لله إنما يكون في محبة الله، وإرادة وجهه، فمن أحب الله أحب دينه، لأن المحبة يترتب عليها تنفيذ ما تقتضيه كلمة الإخلاص وشروط التوحيد التي منها المحبة لله وفي الله(89) .

فمن عرف الشرك وأبغضه، لابد أن يعرف ما يريد الله من خلقه من محبة وإجلال وتعظيم له سبحانه وتعالى، فذكر هذه الحال عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى {فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (90) .

فالذي يبغض الكافرين وأعمالهم، ولكنه لم يدخل في جماعة المسلمين ويعمل لصالح الإسلام معهم، فإن إيمانه ناقص، نظرا لعدم موالاته لله ورسوله والمؤمنين، فالمؤمن الحق هو الذي يكون مع المؤمنين كالعضو من الجسم كما وضح ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- إنه لا بد للمسلم من التصريح بأنه من هذه الطائفة المؤمنة، حى يقويها ويتقوى بها ويفزع الطواغيت، الذين لا يبلغون الغاية في العداوة حتى يصرح لهم أنه من هذه الطائفة المجاربة لهم(91). هـ.

القسم الرابع: من لم يبغض الشرك ولم يحبه:

فهذا لم ينف ما نفته (لا إله إلا الله) من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله، والبراءة منه، فهذا ليس من الإسلام في شيء أصلا ولم يعصم ماله

---

(89) انظر الدرر السنية ج2 ص95097 وانظر مجموعة التوحيد ص36.

(90) سورة يونس آية : 104.

(91) انظر مجموعة التوحيد ص30.

ودمه، لأنه لم يحقق معنى (لا إله إلا الله)(92) . ولأنه خالف ما ذكر الله عن أبينا إبراهيم -عليه السلام- في قوله تعالى: {كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}(93) . ولحديث: ((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله))(94).

القسم الخامس: من عمل بالتوحيد، ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم: فهذا لم يصحح توحيده بنفي الشرك والبراءة منه ومعاداة أهله، فهو لم يوحد الله توحيدًا كاملاً، لأن التوحيد الحقيقي يقتضي نفي الشرك والبراءة من المشركين، وتكفير أهله بعد قيام الحجة عليهم، وهذا النوع من الناس من أشدأنواع المخالفين خطرا على التوحيد، لأنه قد يغتر بحالهم، فيقلدهم غيرهم في مداهنة الكفار والمشركين والمرتدين وهم في الحقيقة لم يأتوا بالأمور التي دلت عليها كلمة الإخلاص نفيًا وإثباتًا(95). فهم يظنون أنهم إذا أصلحوا أنفسهم، فلهم مطلق الحرية في التعامل مع الآخرين، بلا تمييز بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل، وهؤلاء يخشى أن يكونوا من الداخلين تحت قول الله تعالى {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا }(96).

وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله-: فالله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره وأسه ورأسه، شهادة أن لا إله

---

(92) المصدر السابق ص37 وانظر الدرر السنية ج2 ص97-98.
(93) سورة الممتحنة آية: 4.
(94) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم ج1 ص53.
(95) انظر مجموعة التوحيد ص37 وانظر الدرر السنية ج2 ص98.
(96) سورة الكهف الآيتان (103-104).

إلا الله، واعرففوا معناها وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم، ولو كانوا بعيدين منكم نسبًا واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم، وابغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال ما عليَّ منهم، أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى عليه إثمًا مبينًا، فقد كلف الله كل مسلم ببغض الكفار، وافترض عليه عداوتهم، وتكفيرهم والبراءة منهم، ولو كانوا آبءهم أو أبناءهم أو إخوانهم،فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا(97). اهـ.

القسم السادس: من ترك الشرك، ولم يعاد أهله، ولم يكفرهم:

فهذا الصنف داخل تحت ما ذكر في الصنف الأول، إلا أنه يزيد عليه أن الصنف الأول يعمل بالتوحيد، وهذا الصنفجمع بين سيئتين، الأولى ترك الواجبات الشرعية، والثانية مداهنة الكفار، وعدم معاداتهم، فهو لم يؤمن بالله إيمانًا حقيقيًا ولم يعمل بأوامره التي أنزل على عباده، ولم يجتنب الطاغوت كما نهى الله عن ذلك فهو ليس من الإسلام في شيء(98).

القسم السابع: من لم يشرك بالله، ولكنه عرف التوحيد ولم يعمل به ولا أحب ولا أبغض فيه:

فهذا وأمثالهمن الذين يستحقون عذاب الله، ولو لم يكن قد حصل الشرك منهم، لأن فائدة ترك الشرك تصحيح التوحيد لله، ومن أعظم ما ينبني على التوحيد التضرع عند الله، والالتجاء إليه وحده، ومحبة ما يحب وعداوة ما يعادي(99).

---

(97) انظر مجموعة التوحيد ص111.
(98) انظر مجموعة التوحيد ص10.
(99) انظر الدرر السنية ج1 ص99. س

ومن ادعى الإسلام ونطق بشهادة ((أن لا إله إلا الله)) وأحبها وانتسب إلى أهلها، ولكنه لم يفرق بين أوليائها وأعدائها، ولم يحب في الله، ولم يبغض في الله، فهذا عين الكفر وصريحه، لأن حق التوحيد ليس مجرد الإقرار به، ثم الإعراض عن أحكامه التي أهمها الحب في الله والبغض في الله، كما سبق بيان ذلك من الكتاب والسنة(100).

القسم الثامن : من عرف التوحيد وأحبه واتبعه، وعرف الشرك وتركه، ولكنه مع ذلك يكره من دخل في التوحيد وانضم إلى جماعة المسلمين ويحب من بقي في مناصرة وتأييد الكفار:

فهذا النوع من الاعتقاد والتعامل كفر(101)، يخرج به المسلم من مسمى الإسلام لأن الإنسان إذا أحب نصرة الكافرين وخذلان المسلمين فهو داخل تحت قول الله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}(102).

فالذين يؤيدون أحزاب الكفر وأحزاب الشيطان، التي تتخذ مظاهر متعددة في البلاد الإسلامية، بحبهم لمن ينتمي إليها، ويضهم لمن ينتمي إلى حزب الله الممثل في الجماعة المسلمة، هؤلاء داخلون تحت هذا الحكم، وهذا الحكم ينطبق تمامًا على دعاة الشيوعية والاشتراكية أو الدعاة إلى حزب البعث، أو الأحزاب الماسونية، أو دعاة العلمانية، فالذين يؤيدون من ينضم إلى تلك الأحزاب الكافرة، هم كفار وإن ادعوا الإسلام، حيث لا يدعو أحد

---

(100) انظر المبحث الأول والثاني من الباب الأول من هذه الرسالة من صفحة 57 إلى 106.

(101) انظر الدرر السنية ج1 ص66.

(102) سورة محمد آية: 9.

من المسلمين إلى الخروج من حزب الله إلى أحزاب الكفار، ومن فعل ذلك فليس بمسلم، حيث لم يرض بالإسلام دينا ولم يتخذ شريعته منهجا في الحياة.

القسم التاسع: من عرف التوحيد وأنه الحق، ولكنه لم يلتفت إليه، ولم يتعلمه ولا دخل فيه، ولا انضم إلى جماعة المسلمين، وبقي مع الشرك وأهله:

فهذا العمل، وهذا الموقف كفر، يقاتل عليه من فعله، لأن صاحبه عرف الحق فلم يتبعه، وعرف الشرك فلم يتركه، مع أنه قد لا يبغض دين الله، ولا رسوله، ولا المؤمنين، ولا يمدح الشرك أو يزينه للناس، ولكنه مقبل على الكافرين بفعله مدبر عن المؤمنين.

وقد يتخذ لذلك التصرف حجة وهي حبه لأهله ووطنه ومنافعه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده من الكفار، فيجاهد بنفسه وماله ورأيه، أهل الحق مع أهل الباطل، وهذا الموقف كفر مخرج عن الإسلام، لأن ذلك هو غاية التولي للكفار، وحتى لو ادعى الإكراه في ذلك، فإن الإكراه في ذلك، فإن الإكراه مهما يكن، لا يجوز معه أن يحمل المسلم سلاحه، ضد أهل الحق من المسلمين(103) .

ومن يقف مثل هذا الموقف من أهل الإسلام، يكون داخلا تحت قول الله تعالى: {سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا

---

(103) انظر الدرر السنية ج1 ص66.

مُّبِينًا} (104).

القسم العاشر: من تساوى لديه الإسلام والكفر في الحب والبغض، أو من يحبهما من وجه، ويبغضها من وجه آخر.

فهذا الذي يقف من الإسلام مثل هذا الموقف، لم يتحقق فيه معنى الإسلام وهو الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة، التي من أركانها موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فهو كأنه يعارض الله فيما فرض وشرع، قال الله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (105).

يقول الشيخ عبدالله بن حمد الحجازي(106) ـرحمه الله- اعلموا ـرحمكم الله- أن أكبر الذنوب وأعظمها الشرك بالله، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} (107). وهذا الذنب القبيح له وسائل وذرائع توصل إليه، وأعظمها موالاة أعداء الله على اختلاف أنواعها، فيا عباد الله، انتبهوا من هذه البلية العظيمة، التي صيرت أهل الإسلام وأهل الردة والضلال عند كثير من الجهال جماعة واحدة إلا من عصم الله برحمته(108) اهـ.

فمن كمال الإيمان، وتمام العبودية لله محبة الله، ومحبة رسوله وأنبيائه وعباده المؤمنين، وإن كانت المحبة التامة لا يستحقها غير الله ((تبارك

---

(104) سورة النساء آية: 91.
(105) سورة النساء الآية: 65.
(106) الشيخ عبدالله بن حمد الحجازي من تلاميذ الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود. انظر مشاهير علماء نجد/ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله ص190.
(107) سورة النساء آية : 116.
(108) انظر الدرر السنية ج11 ص183.

وتعالى)) فغير الله يحب في الله، لا مع الله.

فإن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه فيما يأمر به وما ينهي عنه(109). والله تعالى يحب المحسينين، ويحب المتقين، ويحب التوابين ويحب المتطهرين(110)، ونحن ملزمون شرعًا بحب ما يحبه الله تعالى كما أننا ملزمون بعدم حب ما لا يحبه الله تعالى، فالله سبحانه وتعالى، لا يحب الخائنين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب المستكبرين(111).

ونحن أيضا يجب أن لا نحبهم، وأن نبغضهم، موافقة له سبحانه وتعالى في حب ما يحب وبغض ما يبغض.

فالمحبة التامة لله، مستلزمة الموافقة للمحبوب في محبوبه ومكروهه، وولاية من يواليه، وعداوة من يعاديه، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة، فلا بد أن يبغض أعداءه، ولا بد أن يحب ما يحبه الله من الأقوال والأفعال فيحب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذكر وتلاوة القرآن ونحو ذلك، ويحب الجهاد في سبيل الله وما دونه من أعمال الخير(112)، لأن كل ذلك من الأمور المحبوبة عند الله تعالى، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ}(113).

---

(109) انظر شرح الطحاوية ص317-318.
(110) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبدالباقي ص192.
(111) المصدر السابق المكان نفسه.
(112) انظر شرح الطحاوية ص318.
(113) سورة الصف آية:4.

فلا بد للمسلم أن يحب الله عز وجل أولا. ثم هذه المحبة لله تجعله يكون متواضعًا مع المؤمنين، ذا غلظة وعزة على الكافرين، فإذا أصبح بهذه الحال، أحبه الله عز وجل لهذه الصفة التي اتصف بها. قال تعالى {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ}(114).

وقد سئل ابنا الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- وهما حسين وعبدالله عن رجل دخل هذا الدين وأحبه وأحب أهله، ويبغض الشرك وأهله، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة أهل الإسلام، ويقاتلون أهله، هو يعتذر بأن مقاتلته لهؤلاء الكفار وترك وطنه من أجلهم يشق عليه ذلك، فهو لا يستطيع مفارقة الأهل والأموال والأولاد والعشيرة.

فهل يكون كافرا أم مسلمًا؟

فأجابا بأن في ذلك تفصيل:

أولاً: أن ينظر إلى هذا الشخص المقيم مع الكفار، هل يقدر على إظهار دينه عندهم، ويتبرأ منهم ومما هم عليه من كفر وشرك؟ وهل يقدر على إظهار عداوته لهم، أو أن يظهر لهم أنهم كفار؟ وهل يأمن على أن لا يفتنوه عن دينه، لأجل أهله وماله وولده؟ فن كانت الإجابات على هذه الأسئلة بنعم فهذا لا يحكم بكفره ولكنه إذا قدر على الهجرة ولم يهاجر، ومات بين أظهرهم فيخشى أن يكون داخلاً في أهل هذه الآية {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ

(114) سورة المائدة آية : 54.

جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا }(115) .

ثانيًا: أما إذا أظهر الموافقة للكفار على دينهم، وأن بدعتهم وكفرهم أصوب من الإسلام، واتهم الإسلام بالباطل والقصور، وقاتل معهم أهل التوحيد، بنفسه وماله ورأيه فهذا كافر مرتد، ولو عرف الدين بقلبه وكره الكفر بقلبه، لأن الأمر الذي يمنعه من الهجرة محبة الدنيا على الآخرة، ويتكلم بكلام الكفر من غير إكراه ملجئ فهو داخل في قوله تعالى: {وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}(116)(117) اهـ.وحتى المكره إكراها ملجئًا لا يجوز له أن يحمل على أخيه السلاح فيقتله من أجل سلامة نفسه -هو- (118) فالإكراه يجوز معه التلفظ بكلمة الكفر ترضية للكفار أما من يحارب المسلمين بقوله وفعله ويناصر الكافرين من أجل أنه يشق عليه فراق أهله وأولاده وبلاده، فيقتل المسلمين، ويرمل نساءهم، وييتم أطفالهم، ويخفض الإسلام وأهله، ويظهر الكفر ويجاري أهله، مقابل أن يسلم -هو- بنفسه، فهذا ظلم وإعانة على الظلم، قال تعالى: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا

---

(115) سورة النساء الآيات 97-99.

(116) سورة النحل الآيتان: 106-107.

(117) انظر مجموعة التوحيد ص284-285 والدرر السنية ج8 ص:111-112.

(118) انظر تفسير القرطبي ج10 ص182- 183 وانظر فتح الباري ج12 ص:316- . وانظر التشريع الجنائي الإسلامي/ عبد القادر عودة ج1 ص: 568.

وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (119) .

قال القرطبي في معنى هذه الآية، أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى، أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها(120).

وفي مختصر تفسير الطبري: أي لا تجترح نفس إثما فيؤخذ به غيرها(121). وعلى هذا إذا وجد حاكم ظالم يطارد أهل الحق ويبطش بهم، وينصر أهل الباطل ويدعم باطلهم، فلا يجوز لمن يلتزم بالإسلام قولا وفعلا، أن يعين هذا الالم على ظلمه، لأنه حينئذ يخالف قول الرسول صلى الله عليه وسلم ((انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)). فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أرأيت إن كان ظالما، كيف أنصره؟ قال: (تحجزه -أو تمنعه- من الظلم، فإن ذلك نصره)(122).

والذي يعين الظالم على المظلوم إنما يعمل ضد مفهوم الحديث تمامًا، وهذا إثم عظيم وذنب كبير، وتلك هي الموالاة الظالمة حيث ينصر من يجب عليه خذلانه، وبخذل من تجب عليه نصرته.

ونود أن نذكِّر في هذا المقام الذين يوالون الكفار ويطلبون رضاهم، بأن رضا الكفار لن يتم بما هو دون الكفر، قال تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ

---

(119) سورة الأنعام آية: 164.
(120) انظر تفسير القرطبي ج7 ص157. س
(121) انظر مختصر تفسير الطبري/ ابن صمادحالأندلسي/ على هامش المصحف المفسر ص: 165.
(122) رواه البخاري. انظر فتح الباري ج5 ص98 (باب المظالم).

الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}(123) . فالكفار إذا أحسوا أن لدى المسلم إمكانية المتابعة لهم والموالاة لهم على كفرهم، فإنهم يتدرجون به رويدا رويدا حتى يخرجوه من الإسلام. فإذا أرادوا إقرار منكر -ما- فأول خطوة في ذلك هي أن يشتروا بعض العلماء الذين يبيعون دينهم بعرض من الدنيا، ثم يستصدرون الفتاوى التي هم أول من يعلم ببطلانها، ثم يطلبون التأييد على هذا المنكر الذي فعلوه بحجة أنه لا يعارض الشرع، ثم يطلبون ممن يوافقهم مطاردة من ينكر عليهم تصرفهم هذا، وأن يحمل السلاح ويدفع المال لقتال المعارضين لهم، وإن كان المعارض هو صاحب الحق والذي مع الحق، وهكذا يفعل الكفار في مدعي الإسلام ترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات تدريجيا حتى ينسلخ المسلم من دينه ويخرج من مسمى الإسلام وهو لا يشعر(124) . ومما تقدم يتضح أنه يجب على المسلم أن يقف موقفًا صلبًا من أعداء الإسلام والمسلمين وأن لا يتنازل عن شيء من واجبات الإسلام مهما كانت الدوافع والأسباب، وأن يقاطع أهل الشرك ويتبرأ منهم ومن شركهم ويجاهدهم ويكفرهم، ويقر بإباحة دمائهم وأموالهم ما داموا على الكفر. فلا يكون المؤمن موحدا إلا بهذا وهو مقتضى كلمة الإخلاص ((لا إله إلا الله)) حيث يقول الله عز وجل {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}(125) . فهذا شأن كل مؤمن مع المؤمنين، ويقول الله تعالى عن الكفار {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}(126).

---

(123) سورة البقرة آية: 120.
(124) انظر الدرر السنية ج1 ص66.
(125) سورة التوبة آية: 71.
(126) أنظر سورة الأنفال آية: 73.

فلا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد، ومعاداة أهل الضلال وبغضهم والبراءة منهم، كما تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار، وكما تبرأ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه من كفار قريش ومن حذا حذوهم، وهذه هي الموالاة للمؤمنين، المعاداة للمشركين التي هي أصل عرى الإيمان وأوثقها(127).

فمعاداة الكفار واجبة وإن كان فيهم أخلاق طيبة، وصفات حميدة. فمن لم يعاد الكفار ويتبرأ منهم لم يدخل في الإسلام، وإن كان يتعامل مع المسلمين معاملة حسنة ويقدم لهم دعمًا سخيًا.

فإن في قصة أبي طالب درسا وغيره وعظة، أنه لا موالاة إلا بمعاداة فهذا الرجل قد بذل عُمُره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن مات على ذلك، وصبر على المشقة العظيمة، العداوة البالغة له من قومه، وكان يحب من أسلم وينتقص أعمال المشركين، وكان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حق وصواب كما يظهر ذلك من قوله في النونية:

ولقد علمت بأن دين محمد — من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة — لوجدتني سمحا بذاك مبينا(128)

ويقول في قصيدة أخرى:

ولقد علموا أن ابننا لا مُكَذَّبٌ لدينا ولا يعني بقول الأباطل

حدبتُ(129) بنفس دونه وحميْته ودافعتُ عنه بالذرى(130)

---

(127) انظر الدرر السنية ج2 ص95.

(128) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج3 ص42.

والكلاكل(131)(132)

ولكنه لما لم يتبرأ من دين أبيه عبدالمطلب ويعلن عداوته لذلك، ولم يعلن موالاته لله ثم لرسوله والمؤمنين في الله، ما نفعه ذلك شيئا، وقد استغفر له النبي صلى الله عليه وسلم نظرًا لنصرته له ودفاعه عنه، فأنزل الله قوله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}(133) . لو كان هناك رجل من أهل الشرق أو أهل الغرب، يحب الدين الإسلامي، وينصر المسلمين باليد والمال والسلاح، ولكنه لم يعلن دخوله في الإسلام وانضمامه إلى جماعة المسلمين، وبراءته وانفصاله وعداوته للمشركين، لم يكن مسلمًا ولم تصح موالاته من قبل المسلمين، وإنما يعامل على أساس البر والصلة بالمعروف، دون محبة القلب كمحبة أحد المسلمين، فهو وإن كان يُحَبُّ لما فيه من صفات طيبة وأخلاق كريمة، كالكرم، والأمانة، والصدق والوفاء، فإن تلك الصفات لا تطغى ولا تنسينا صفة الكفر التي هي أسوأ صفة وأقبحها في الوجود، فمثل الكفار وصفاتهم الطيبة كمثل امرأة جميلة كريمة متواضعة ولنها مع تلك الصفات عاهر بغي، فإن تلك الصفة القبيحة تطغى على جميع صفاتها الحسنة وتذهب أثرها عند ذوي العقول السليمة والفطرة

---

(129) أي تعطفت وأشفقت عليه. انظر لسان العرب لابن منظور ج1 ص581.

(130) الذُرى بالضم أعلى كل شيء: وذروة السنام والرأس أشرفهما. المصدر السابق ج1 ص1066.

(131) الكلاكل جمع كلكة: وهو الصدر من كل شيء، وقيل هو ما بين الترقوتين: وقيل هو باطن الزور وقيل القصير الغليظ الشديد. المصدر السابق ج3 ص290 وانظر المعجم الوسيط ج2 ص801.

(132) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج3 ص:42.

(133) سورة التوبة آية: 113.

المستقيمة وتجعلهم يمقتونها ويعادونها وينظرون إليها نظرة احتقار وأزدراء(134).

إن موقف المسلم من الكفار، ليس مجرد العداء لهم، بل المطلوب منه جهادهم، والحرص على مراغمتهم، وإدخال الحزن عليهم(135)، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً}(136). فمن جهاد الكفار السعي إلى كسر شوكتهم ومراغمتهم، وإدخال الهزيمة عليهم بكل الوسائل والأسباب المباحة، والتضييق عليهم، والوقوف في وجه مكائدهم، بكل ثبات وإصرار، وكشف أباطيلهم، وعورات نظمهم، وتعرية مفاسدهم لكل ذي عينين، حتى يحصل الإقبال على الإسلام والإدبار عن الكفر، نتيجة للفهم والوعي الصحيح. فإن لم يحصل من المسلم جهاد ومراغمة للكفار، فلا أقل من مقاطعتهم وعداوتهم، وترك تبادل الأقوال والأفعال التي لا يقصد بها تقريبهم إلى الإسلام، وإنما يقصد بها التقرب إلى دنيا الكفار وما هم فيه من كفر.

ومما تقدم نخلص إلى القول بأنه لا صحة لإسلام المسلم إلا بموالاة أهل الإسلام ومعاداة أهل الكفر، فلو والى المسلم المسلمين ولم يعاد الكافرين لم يصح إسلامه، ولو عادى الكافرين ولم يوال المسلمين لم يصح إسلامه إلا بالجمع بين موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، وحول هذا المعنى يقول الشيخ سليمان بن سحمان شعرا:

ومن كان ذا حب لمولاه إنما　　　يتم بحب الدين دين محمد

---

(134) انظر الدرر السنية ج10 ص101.
(135) انظر مدارج السالكين/ ابن القيم الجوزية ج1 ص226.
(136) سورة التوبة آية : 123.

فعاد الذي عاد لدين محمد   ووال والاه من كل مهتد

وأحبب رسول الله أكمل من دعا   إلى الله والتقوى وأكمل مرشد

وما الدين إلا الحب والبغض والولاء كذاك البرا من كل غاو ومعتد(137)

ويقول أيضا:

نعم لو صدقت الله فيما زعمته   لعاديت من بالله ويحك يكفر

وواليت أهل الحق سرًّا وجهرة   ولما تهاجيهم وللكفر تنصر

فما كل من قد قال ما قلت مسلم   ولكن بأشراط هنالك تذكر

مباينة الكفار في كل موطن   بذا جاءنا النص الصحيح المقرر

وتكفيرهم جهرا وتسفيه رأيهم   وتضليلهم فيما أتوه وأظهروا

وتصدع بالتوحيد بين ظهورهم   وتدعوهموا سرا لذاك وتجهر

فهذا هو الدين الحنيفي والهدى   وملة إبراهيم لوكنت تشعر(138) .

19- انتشار كثير من المصطلحات الأفكار والدعوات والنظريات والجميعات المضادة للتوحيد والوحدانية.

فمن المصطلحات التي يلبس بها على الناس وظاهرها فيه الرحمة وباطنها من العذاب ((الحداثة مصطلح أدبي يطلق الآن على اتجاه يسود

---

(137) انظر الدرر السنية ج1 ص294.

(138) انظر ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان/ للشيخ سليمان بن سحمان. ص79.

العالم العربي كله، مع اختلاف من قطر إلى آخر في درجة التحمس له... هذا الاتجاه الحداثي صار غطاء وهيًا لدى أنصاره الذين يشغلون مساحات واسعة من القطاعات ... وبخاصة القطاع الصحفي، والقطاع الأدبي والفني، ويعمل من خلاله الشيوعيون والماركسيون والعلمانيون في حرية تامة، ويساعدهم في العمل المناصب التي يعتليها بعضهم، وهي مناصب حساسة جدًا ومؤثرة جدًا في مجال تكوين الرأي العام، والعبث بقيم الأمة في وضح النهار.

وتقوم الحداثة العربية المعاصرة على مبدأ عام، هو كراهية التراث العربي الإسلامي، وكراهية ما أنزل وما قال رسوله الكريم، أو بعبارة أخرى هم يكرهون النظام العام الذي جاء به الإسلام لينضوي تحته المسلمون جماعةً وأفرادًا ويحاولون محوه من الوجود تحت مصطلح لهم يدعونه ((محو القَبْلِيَّة))، أي محو كل ما كان من قبل أيًا كان، دينًا أو تراثًا، أو ما يتصل بالدين والتراث ولو من بعيد، فالحداثة بهذا المعنى إتجاه عميل يعمل ضد مقومات الأمة لحساب أعدائها من الصهيونية العالمية، والصليبية العالمية، والإلحاد العالمي الأحمر))(139).

((الإبداع)) يعرف أحد سدنة الإلحاد الإبداع فيقول: ((هو عبارة عن قدرة العقل على اكتشاف علاقات جديدة استنادًا إلى عقل ناقد يسمح باستحداث تغيير في الطبيعة، ومعنى ذلك أن الإبداع ليس مجرد عملية عقلية، وإنما هو عملية عقلية لابد أن تنتهي إلى إحداث تغيير في الواقع.

وإذا لم يحدث هذا التغيير في الواقع فلا يمكن القول، في هذه الحالة، بأن

---

(139) الحداثة... سرطان العصر ـللدكتور عبدالعظيم المطعني ص:3.

ثمة إبداعًا)) (140) .

ويعلل ندرة الإبداع فيقول: ((الإبداع نادر ليس بسبب عوامل ذاتية عند الإنسان، ولكن بسبب عوامل موضوعية، وعلى الأخص ما يمكن تسميته بالمحرمات الثقافية. فالمحرمات الثقافية تشل العقل الناقد وبالتالي تشل عمليه الإبداع. علينا أن نقتحم هذه المحرمات الثقافية حتى يمكن أن نسمح للإنسان بممارسة الإبداع، وهذا محدث في أوربا، كانت فيها محرمات ثقافية، ومع ذلك اقتحمت هذه المحرمات ونشأ ما هو معروف بعصر النهضة، وعصر الإصلاح بالذات إذ معناه إعمال العقل في كل النصوص الدينية بلا أستثناء. وعندما انشغل العقل بفهم كل نص أمكنه أن يقتحم مجالات عديدة بدون حساسية))(141) .

هذا هو مفهوم الإبداع عندهم الذي لا يمكن أن يوجد إلا من جلال العبث الفكري بالنص الشرعي ((التنوير)) يقول أحد دعائه: ((وما يعنيه التنوير... هو منح الأولوية للعقل في إدراك الوجود وإبداع العالم، والنظر إلى العقل البشري بوصفه النور الذي يهتدي به الإنسان، ويصوغ به عالمه، متحررًا من أشكال الوصاية التي تحجر على العقل أو تقيد انطلاقه، وكان منح الأولوية للعقل في السياق نفسه، شعار طوائف متعددة في تراثنا العربي الإسلامي اقترن لديها نور العقل بحرية الإنسان وحقه في اختيار فعله الخلاق وممارساته في كل مجالات الفعل المعرفي والإجتماعي والسياسي والأقتصادي وذلك في مواجهة طوائف أخرى استبدلت بالعقل النقل، وبالحرية العبودية، وبالاختيار الجبر، وبالعدل الظلم، وبالمعنى العقلاني

---

(140) ((جرثومة التخلف)) لأحد سدنة الإلحاد المعاصرين ص:141.

(141) المرجع السابق ص: 143.

للتوحيد المعنى القمعي للإذعان المفروض على الجماعة))(142).

ويقول آخر: ((التنوير هو أنه لاسلطان على العقل إلا العقل نفسه))(143).

((الأصولية)) يقول أحد المُضللين موضحًا ما يريده الملاحدة الجدد بمصطلح الأصولية: ((الأصولية الدينية أعني بها؛ رفض إعمال العقل في النص الديني ورفض بعض النظريات العلمية، وبالأخص نظرية دارون عن التطور بدعوى أنها مناقضة لما جاء به الدين، وكراهية منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية باعتبار أنها تؤدي إلى اغتراب الإنسان المعاصر، وأنها تغير من نسق القيم التقليدي))(144).

ويقول آخر من أولئك المضللين: ((نستطيع أن نقول أن ((الأصولية)) مصطلح من المصطلحات المعاصرة التي شاعت في حياتنا الفكرية مؤخرًا للإشارة إلى أبعاد سلبية من الدلالة والمصطلح في هذه الإشارة السلبية بدأ من دلالة كانت أقرب إلى الترجمة التي قصد بها أداء معنى لا يفارق دلالة التعصب والتطرف والتقليد والاتباع، والفهم الجامد لنصوص أولية بوصفها مباديء مطلقةن لا يمكن الخروج عليها أو تعديدها أو مراجعتها أووضعها موضع المساءلة))(145) .

((حرية الفكر)) أو ((الحرية الفكرية)) وحقيقتها ((حرية الكفر))، والحرية والأحرار أو أحرار الفكر هي ترجمة للكلمات الإنجليزية

---

(142) ((أنوار العقل)) لأحد ضلال التنويريين ص: 6.
(143) جرثومة التخلف ص: 180.
(144) ((جرثومة التخلف)) ص:180.
(145) أنوار العقل ص: 137.

وهي كلمات اصطلاحية، يراد بها إطلاق الفكر من كل قيد، ومن العقائد الدينية على وجه الخصوص(146).

((والحرية اسم جميل براق محبب إلى القلوب في كل أشكاله وألوانه، ولكن المقصود به هنا هو حماية الأزاء التي تخدم الأفكار الدخيلة المعارضة لما تواضع عليه الناس من أراء، وما استقر في مجتمعهم من نُظم))(147).

((وهذه الحرية الفكرية التي لا تلتزم فيها الدولة بحماية النظم الدينية في جانبيها الفكري والسلوكي، ولا تتقيد بها هي ما يسمونه أحيانًا بالتقدمية، وذلك في مقابل الرجعية التي تدعوا إلى أن تلتزم الدولة بحماية النظم الدينية، وتقيد نفسها بها، وهي ما يسمونه في أحيان أخرى المدنية أو العلمانية، فيقولون ((حكومة مدنية وعلمانية)) في مقابل ((حكومة دينية))(148).

((وهكذا قد تتداخل الاصطلاحات أو تلتقي ولكنها مؤداها شيء واحد وهو اللادينية)).

((ويمكن أن نقول إن ((التقدمية والرجعية)) من الاصطلاحات المرنة في هذه الأيام التي لا تتفق عليها وجهات النظر المختلفة باختلاف المذاهب والنظريات السياسية والاجتماعية، ولكن من الواضح أن التقدمية هي ما يوافق الحضارة الغربية، والرجعية هي ما يتمسك بالتراث الإسلامي))

---

(146) انظر ((الإسلام والحضارة الغربية)) لمحمد محمد حسين ص:69.
(147) المرجع السابق ص:116.
(148) المرجع السابق ص:117.

(149).

وهكذا تجد مصطلحاتهم مقتضبة وتعريفاتهم غامضة ومؤداها محاربة سلطان الدين وتمجيد العقل وتقديمه على الشرع ووصف الدين بالتخلف والجمود والتقاليد الباليه إلى غير ذلك.

وينادون بالتنوير والتحرر وحرية الإبداع، وحرية الفكر .

وخلاصة دعواتهم التحررية هي التحرر من من العبودية، والحرية هي صد العبودية، والإسلام قد جاء.

ومن الألفاظ والكلمات المنتشرة على الألسنة وهي مخالفة للعقيدة.

((الدين لله والوطن للجميع)) هي خطة شركية ابتدعها أهل أوربا للهروب من حكم الكنيسة الظالم المحارب للعلم؛ ثم أرادوا بها إبعاد أهل الإسلام عن دينهم، فكأنهم قالوا: ((الدين لله يُطرح ظهريًا))، ليس له حق في شؤننا الوطنية من سياسة وعلم واقتصاد وغيره، فالمستعمرون قصدوا بهذه الكلمة المزوقة البدعية إفكًا وتضليلاً ليبعدوا حكم الله ويفصلوه عن جميع القضايا والشئون بحجة الوطن الذي جعلوه ندًا لله، وفصلوا بسببه الدين عن الدولة، وقد أمرنا القرآن بعدم طاعتهم في مثل هذا قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [آل عمران:149] وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} [آل عمران: 100] وهذه الدعوة فتحت الأبواب للدعاية النصرانية وبث الإلحاد على حساب المسلمين وفي عُقر بيوتهم، وأخرت دعوة الإسلام، وأوقفت زحفه إرضاءً

---

(149) ((الإسلام والحضارة الغربية)) ص: 121.

لأقلية نصرانية انتحلوا هذه النحلة فإذا ما رفضها المسلم قالوا: ((فتنة طائفية))!!![150].

((الدين سبب الطائفية والشقاق)) قال الشيخ بكر أبو زيد -حفظه الله- كلمة شيوعية توجبُ الردة[151] اهـ.

والدين الإسلامي الصحيح مصدر الوحدة الصحيحة، وتحقيقة يسبب العز والتمكين والتضامن والتراجم والبذل والإثيار وحماية غير المسلمين وأي طائفية في دين يقول لأهله: {قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:84][152].

((الدين أفيون الشعوب)) هي مقالةٌ لليهودي ((كارل ماركس)) الذي نبش الشيوعية المزدكية اليهودية بعدما قبرها الإسلام، فاخترع هذه المقالة يزعم أن الدين مُخدر ومُبَلِّد للشعوب، وهذا قد يصدق على الأديان المزعومة من لا هوتيه وثنية لتقيد أهلها بالخرافات، أما الدين الصحيح الحنيف ملة إبراهيم الذي أمر خلقه بإقامته، دين يلهب القلوب والمشاعر، محرك لجميع الأحاسيس والقوى، دافعٌ بها إلى الأمام لا يقبل من أهله الذل والاستكانة والخضوع للظم، بل يوجب عليهم الجهاد بشتى صوره وأشكاله لإعلاء كلمة الله وقمع المفتري عليه والبراءة ممن جانب دينه وتنكر لحكم

---

(150) ((الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة)) للشيخ عبدالرحمن الدوسري -بتصرف. وانظر معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد ص: 164 حيث قال عنها: ((كلمة توجب الردة)).

(151) ((معجم المناهي اللفظية)) ص: 164.

(152) ((الأجوبة المفيدة لمهمات لعقيدة)).

شريعته(153).

ومن الدعوات

إحياء الدعوات القومية المحلية، والعرقية والوطنية مما يجعل الولاء والبراء على تلك القوميات لا على أساس الدين والشرع يقول المستشرق الإنجليزي هـ.أ.ر. جب في كتابه ((إلى أين يتجه الإسلام)) : ((وقد كان من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن، فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا وفي مصر، وفي أندونسيا وفي العراق وفي إيران)) (154).

وصحب هذه الدعوة نشاط البعوث الأجنبية في التنقيب عن الآثار والدعاية لما يكتشف منها فملئوا الدنيا كلامًا عما ظهر منها وقتذاك في مصر والشام والعراق.

وأخذوا يدعون إلى بعث التاريخ القديم في كل جزء من أجزاء الوطنى العربين وهو التاريخ السابع على استعرابها بدخولها في الإسلام واتخاذها لغته.

فأطلت النعرة الفرعونية في مصر، والغينقية في سوريا، والأشورية في العراق، والطورانية في تركيا، وهكذا.

ولقي هذا الاتجاه تشجيعًا -بل تحريضًا- من دول الاستعباد الغربي في كل أجزاء الوطن العربي، بل في كل بلاد المسلمين، وكان هدفهم من ذلك

---

(153) المرجع السابق.
(154) ص: (342) ط لندن 1932م.

واضحًا، وهو تدعيم سياسة التجزئة التي نفذوها حين قطعوا أوصال العرب، وذلك بتلوين الحياة المحلية في كل بلد من هذه البلاد بلون خاص يستند في مقوماته إلى أصوله الجاهلية الأولى، وبذلك تعود هذه البلاد التي توحدت منذ استعربت إلى مظاهر الغرقة والانشعاب التي سبقت ذلك التاريخ، فيستريح المستغلون من احتمال تكتلها الذي يؤدى إلى تحررها، ثم تكون هذه المدنيات الجديدة أكثر قبولاً لأصول المدنيات الغربية ويصبح كل شعب من هذه الشعوب أطوع لما يراد حمله عليه وزجه فيه من الصداقات ومناطق النفوذ بعد أن تتفكك عرى الأخوة العربية والإسلامية(155) .

((القومية العربية)) : ((اختلف الدعاة إليها في عناصرها فمن قائل إنها الوطن، والنسب، واللغة العربية، ومن قائل إنها اللغة فقط، ومن قائل غير ذلك، أما الدين فليس من عناصرها عند إساطينهم والصرحاء منهم، وقد صرح بعضهم بأن الدين لا دخل له في القومية...

ومن خبر أحوال القوميين وتدبر مقالاتهم وأخلاقهم وأعمالهم عرف أن غرض الكثيرين منهم من الدعوة إلى القومية أمور يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع، ومن تلك الأمور:

فصل الدين عن الدولة، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع، والاعتياض عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى، وإطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة -لا بلغهم الله مناهم-.

ولا ريب أن دعوة تفضي إلى هذه الغايات يرقص لها الاستعمار طربًا، ويساعد على وجودها ورفع مستواها- وإن تظاهر بخلاف ذلك- تعزيرًا

---

(155) الإسلام والحضارة الغربية ص:236-237 بتصرف.

للعرب عن دينهم، وتشجيعًا لهم على الاشتغال بقوميتهم، والدعوة إليها والإعراض عن دينهم...

واعلم أن هذه الدعوة أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول وأنواع من الخيال، وأساليب من الخداع فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام، واغتربها كثير من الأغمار ومن قلدهم من الجهال، وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة، وخطأ عظيم ومنكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله)) (156) .

ومن الاتجاهات ((الاتجاه العقلاني)) ((اللاديني)).

يمكن أن يقال في تعريفها هي: ((التفسير العقلاني لكل شيء في الوجود، أو تمرير كل شيء في الودود من قناة العقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه)) (157).

ويمكن أن تعرف أيضًا بأنها: ((المذهب الفلسفي الذي يرى أن كل ما هو موجود يُرد إلى مبادئ عقلية، وخصوصًا الاعتداد بالعقل ضد الدين))(158) .

فالعقلانية في حقيقتها: ((إلغاء النص أمام النظر العقلي المجرد- أو الهوى المجرد- الذي يستقبح اليوم ما كان حسنًا بالأمس، ويستقبح في وقتٍ

---

(156) من كتاب ((نقد القومية العربية)) لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- من ص: 8-13 بتصرف.

(157) ((مذاهب فكرية معاصرة)) لمحمد قطب (ص: 50).

(158) ((معجم المصطلحات العلمية)) يوسف الخياط.

ما كان حسنًا عنده في وقتٍ سابق))[159].

والذي يستمع للفظة ((عقلانية)) ولا يدري حقيقة الأمر يقول ومالكم تحاربون العقل وتذمونه، ونحن نقول إننا لا نذم العقل، ولا نحقر من شأنه ولكن نطالب بإنزاله منزلته الصحيحة مع شرع الله عز وجل.

والذي يسمع لفظة ((العقلانية)) لأول وهلة يظن أنها نهجٌ سديد، لتمسحها بلفظة شريفة، ولكن هكذا أهل الباطل يكسون مذاهبهم ألفاظًا براقة لامعة ليجذبوا الرعاع إلى أقوالهم، ويسمون الأشياء بغير اسمها ظنًا منهم أن في ذلك تسويغًا لباطلهم، ولكنه بريق سرعان ما يزول وينطفيء أمام حجج الشرع الساطعة وبراهينه القاطعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبينًا مكانه العقل وفضله ومنزلته الحقيقية:

((العقل شرطٌ في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلمُ والعَمل، ولكنه ليس مستقلاً بذلك، لكونه غريزة في النفس، وقوة فيها، فهو بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار.

وإن انفرد بنفسه لم يُبصر الأمور التي يَعجزُ وحده عن دَرْكها. وإن عُزل بالكلية: كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أمورًا حيوانية، قد يكون فيها محبة، ووجدٌ، وذوقٌ كما يحصل للبهيمة.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأحوال المخالفة للعقل باطلة.

والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دَرْكه، لم تأت بما يُعلم بالعقل

---

(159) ((في فقه الواقع)) عبدالسلام بسيوني ص: 29.

امتناعه، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء، وجوازها، وامتناعها، لحج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقًا، وهي باطلة، وعارضوا بها النبوات))(160).

وقد يفهم البعض من ذمنا لتقديم العقل على النقل دم العقل بإطلاق، فليس معنى ترتيب منزلة العقل وجعلها بعد النقل ((إلقاء العقل جانبًا... لأن البحث العقلي ليس مذمومًا على الإطلاق بل يُذم إذا اكتُفي به عن الأدلة الشرعية، أو قُدم عليها، أو عورض به نصوص الدين.

كما أنه لا دخل للعقل في مجال الغيب -السمعيات التفصيلية- من أمور العقيدة؛ لأن المجال مجال تسليم واستسلام.

أما أبحاث العقيدة التي يُستدل بها على وحدانية الله تعالى وعلمه وقُدرته وحِكمته والبعث والجزاء، فقد طلب القرآن العقل البشري أن يهتدي إليها فهي أدلة تدعم النصوص وتزيد في تثبيت الاعتقاد، ولهذا يجد المتأمل في كتاب الله تعالى الآيات الكثيرات، التي تحثُ العقلَ البشري على التأمل والتفكر والتبصر والتدبر.

إن فتح المجال أمام العقل البشري لينطلق في مجالات الكون فيُذلل الصعاب، ويُرشد الإنسان إلى طُرق الحضارة مما يعود على البشرية بالخير العميم، أمرٌ حسن وجميل بل هو طريقه الطبيعي ومساره الاعتيادي.

أما أن يُسمح للعقل أن يتدخل في مجالات الغيب ويُلاقي منا كل تشجيع واستحسان فهذا خطأ فادح وحماقةٌ كبرى تُرتكب في حق حاضرِ الإنسان ومستقبله وإهانةٌ صريحة للعقل بتوريطه بالانزلاق في مسارب لا دخلَ له

---

(160) ((مجموع الفتاوى)) (3/338-339).

بها، بل هي بعيدة جدًا عن مطلبه ومُحالٌ أمام تصورة.

لقد ابتدأ المعتزلة هذه المهزلة، حيث جعلوا العقل هو الحكم والفيصل، وأسندوا إليه مهمة الكشف في عالم الغيب وملكوت الآخرة.

وتدخل العقل باحثًا في خصائص اليوم الآخر، فأثبت ما أراد، ونفي ما شاء، واعتدى على مقام الألوهية العظيمة، فتناول صفات الله تعالى بالتبديل والتحوير، والطمس والتزوير، منتهكًا حرمة النصوص، غير مبال ولا ملتفت لأي وعيد أو عقاب، فتناقض أيما تناقُض، ونفى عن الذات الإلهية صفات أثبتها الله لنفسه، زعم أنها أوصاف للأجسام ونعوتٌ للمخلوقات.

إن العقل البشري قاصرٌ كل القصور في عالم الغيب ونتائجه وتوقعاته كلها تخرمات سكرى وظنون بَلهاء.

وقد بينت النصوص النبوية المباركة عدم الركون إلى هذه الأوهام بعبارات ((وجيزة)) فقد رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في ذاته فتهلكوا))(161)

إن العقل إذا م ينطلق من وحي النصوص المعصومة فإنه سرعان ما يُخطيء، ولما كان من مهمام العقيدة تنظيم سلوك الإنسان، فإن نتائجه أنذاك تكون خطيرة ونسبب اختلافًا بين الناس، وهل يتعارض الناس ويختلفون في أمور الدين إلا بسبب استخدام عقولهم بمعزل عن نصوص الكتاب والسنة.

إن العقل مخلوق من مخلوقات الله تعالى؛ شأنه كشأنها، له قُدراته المحدودة، وخصائصه الثابتة، فهل يُطلبُ من العين أن تبصر ما يعبد عنها

---

(161)

الآف الأميال؟

وهل يُطلبُ من الأذن أن تسمع ما يدورُ بين الطيور في السماء من مناجاة؟

وهل يطلب من اليد أن تحمل جَبلاً؟

ومن القدم أن تُزَعزع بركلة منها ناطحة سحاب؟

أو غير ذلك من الأمور المغرقة في المحال، وكذلك الشأن نفسه بالنسبة للعقل البشري، عندما يتعرض لمسائل الغيب فيُثبت وينفي.

نعم إنه يباح للعقل أن يتعرف على المخلوقات لأنه مخلوقٌ مثلها، أما أن يتطاول هذا المخلوق المغرور ليتدخل في مهام الخالق العظيم، ويُنصِّبَ نفسه الحَكم العدل الذي لا يُرجَعُ عن حُكمه، ولا يُعترضُ على قراره فتلك بلية البلايا وأعجوبة الأساطير.

فهل يقع الإنسان في ضلالٍ أبعد من هذا الضلال؟))[162].

وقد عظم المعتزلة قديمًا مكانة العقل وجعلوه حاكمًا على النقل لا محكومًا، فقد آمن المعتزلة بالعقل، ورفعوا شأنه، ونوهوا به أيماتنويه ، وصَدعوا بمبادئه.

قال القاضي عبدالجبار في ((فضل الاعتزال)) عند سرده الأدلة الشرعية حسب ترتيبه: ((أولها العقل))[163] .

ويقول الزمخشري المعتزلي في ((تفسير الكشاف)): مفسرًا قوله تعالى:

---

(162) ((علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين)) لرضا معطي ص: (31-32).

(163) ((فضل الاعتزال)) ص: 139.

{وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ} قال: ((... يحتاجُ إليه في الدين، لأن القانون الذي تستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل))(164). فجعل أدلة العقل هي الأساس.

ويقول الجاحظ وهو من مشاهير المعتزلة: ((فما الحكم القاطع إلا للذهن وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل))(165).

((ولقد التقى هذا التيار المعظم للعقل الذي دخل على أمة الإسلام من علوم اليونان العقلية التي اهتم بها المعتزلة وترجموها إلى العربية وأقبلوا عليها يستلهمونها، وأعلام يونان يترسمون خُطاهم، وينسجون على منوالهم، وعلى كتب يونان يتفهمونها ويهضمونها فحكموا العقل أكثر من تحكيمهم للشرع))(166) .

فالتقي هذا التيار المعظم للعقل المتأثر بفلسفة اليونان في عصرنا الحديث مع.

وقد أذكى المستشرقون المخربون في كيان الأمة الإسلامية النزعة العقلية في الدراسات كلها فضلاً عن الدراسات العقدية.

((إذ أن الاستعمار الصليبي والصهيوني، فَشِلَ حين فَرَضَ العَلمانية بجنوده؛ فقد أحس المسلمون به، فتحصنوا منه.

وحين فرض العلمانية بعملائه الذين رباهم في مدارسه، وربطهم بفلكه، واستعبدهم بالجاه والمال؛ رفض المسلمون ذلك، فما استطاعوا أن يصلوا

---

(164) رسائل الجاحظ ص:191.
(165) رسائل الجاحظ ص:191.
(166) ((منهج المدرسة العقلية الحديثة)) لفهد الرومي ص:(54) بتصرف.

إلى قلوبهم.

والمحاولة اليوم خَطرةٌ حقًا، فإن العلمانية تُفرضُ بحقٍّ يَدَّعي لنفسه العمل للإسلام، ويَنسِب إلى نفسه الريادة، ويَصف حركَته بالبَعث، ويُهياء له المناخ ليكون إمامًا، ولتكون دعوته نهضة.

وهي في حقيقتها عَلمانية... أو عصرية... أو تغريب... أو ما شئت من الأسماء))(167).

فخرج في بلادنا الإسلامية نبتٌ شيطاني خبيث نبت في تربة الاعتزال القديم وسقي بماء الاستشراق المادي الحديث.

فكانت الثمار أمشاجٌ فكرية مختلطة، لا ضابط لها، ولا رابط بينها منتهاهًا النخُر في معتقد أهل الإسلام وإليك بعضُ أقوالهم ليحذر منها ويُحذر، ويُنظر فيما يؤخذ عن قائليها ويُتوقف.

يقول قائلهم: ((اتفق أهل الملل الإسلامية -إلا قليلاً ممن لا يُنظرُ إليه - على أنه إذا تعارض العقل والنقل أُخذ بما دل عليه العقل))(168).

ويقول آخر: ((لقد انقضت المعتزلة كفرته، ولكنها استمرت نزعةً عقلية وفكرًا قوميًا، وأصولاً فكرية، من خلال فريقٍ أخرى تأثرت بها، ومن خلال البصمات التي طبعتها على المجرى العام الخالد والمتدفق والمتطور لفكر الغرب والمسلمين)).

ثم قال: ((وهكذا كان المعتزلة: كوكبة من أهل الفكر والنظر والدين والثورة اتخذوا من الفلسفة والفكر والرقي في المعرفة بدلاً عن الأحساب

---

(167) ((العصريون: معتزلة اليوم)) ليوسف كمال ص: (76).
(168) ((الإسلام والنصرانية)) لمحمد عبده ص:(59).

والأنساب)).

ثم أخذ يتحدث عن نظريته التي يدعوا إليها وطريقته التي يمشي عليها إنها ((تعلي من شأن العقل، وتجعله معيارًا وميزانًا، حتى بالنسبة للنصوص والمأثورات حتى لنستطيع أن نقول: إن موقفها من العقل والفلسفة يجعلها الامتداد المتطور لمدرسة المعتزلة، فُرسان العقلانية في تراثنا القديم))(169) .

ويقول آخر من سدنة العقلانية: ((إن البشرية لم تعد في حاجة إلى من يتولى قيادتها في الأرض باسم السماء فلقد بلغت سن الرشد، وأن لها أن تُباشر شؤنها بنفسها))(170) .

ويقول: ((فلقد حرر الإسلام العقل البشري من سُلطان النبوة من حيث إعلانه إنهاءها كُليةً، وتخليص البشرية منها))(171) .

ويقول آخر من أحلاس هذه المدرسة: ((أما المصدر الذي يتعين علينا أن نُعيد إليه اعتباره كأصلٍ له فهو العقل...))(172).

وقال أيضًا: ((أنا لا أنا قش الحديث من حيث سنده، وإنما أراه يتعارض مع العقل، ويُقدم العقلُ على النقل عند العارض))(173).

---

(169) من كلام الدكتور محمد عمارة في كتابه تيارات الفكر الإسلامي ص: (87-88).

(170) من كلام محمد أحمد خلف الله في كتابه ((العدل الإسلامي)) نقلاً عن كتاب ((غزو من الداخل)) لجمال سلطان ص(51).

(171) الأسس القرآنية للتقدم - لخلف الله ص:(44).

(172) ((تجديد الفكر الإسلامي)) لحسن الترابي ص: (26).

(173) نقلاً عن ((دراسات في السيرة النبوية)) لمحمد سرورزين العابدين ص:(308).

هذه بعض أقوال أولئك المفتونين المعاصرين المقدمين للعقل على النقل الذين رضعوا لبان الفكر الغربي الحديث ونشئوا في قلبِ بلاد الإسلام الذبيح، مع تفاوتٍ في شططهم واختلاف أقدارهم وعقولهم.

((فعجبًا للعصريين في هذا العصر، إنهم مصرون على أن يصنعوا الإسلام في ذمة التاريخ، على رُفوف التراث، يُشار إليه ولا يُعمل به، فالإسلام يصبح اسمًا لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر؛ أيًا كان إيمانه، فيندرج تحته الصهيونيون والصليبيون في صور تجعل إرسال الرسل بالبيان الحق المنهج الصواب عبثًا)) (174).

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول: ((ومألهم في تلك الأقيسة العقلية إلى السفسطة، التي هي جحود الحقائق الموجودة بالتمويه والتلبيس، ومألهم في تلك التأويلات إلى القرمطة، التي هي تَحريفُ الكلم عن مواضعه وإفساد الشَرع واللغة والعقل، بالتمويه التلبيس))(175).

ومن النظريات المضادة للتوحيد وهي كثيرة ونمثل لهاب ((الداروينية))

في سنة 1859م- نشر الباحث الإنجليزي ((تشارلز داروين)) كتابه ((أصل الأنواع))، فأحدث ضجة لم يحدثها أي مؤلف آخر في التاريخ الأوربي قاطبة، وكان له من الآثار في المجالات الفكرية والعملية ما لم يكن في الحسبان.

والغرض الذي يدور حوله الكتاب هو افتراض تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقة والتعقيد، وتدرجها من الأحط

---

(174) ((العصريون معتزلة اليوم)) ص(115-116).
(175) بيان تلبيس الجهمية (150/1).

إلى الأرقى، وأن الفروق الخلقية داخل النوع الواحد تنتج أنواعًا جديدة مع مرور الأحقاب الطويلة، ولذلك يفترض داروين أن أصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائن حقير ذو خلية واحدة.

وحسب قانون((الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب)) نمت الأنواع التي استطاعت التكيف مع البيئة الطبيعية ومصارعة الكوارث المفاجئة، وتدرجت في سلم الرقي في حين هلكت الأنواع التي لم يخالفها الحظ في ذلك.

وعلة ذلك أن الطبيعة -حسب تعبير داروين- وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومؤهلات حفظ النوع بإضافة أعضاء أوصفات جديدة تستطيع بواسطتها أن تتواءم مع الظروف الطارئة، وقد أدى ذلك إلى تحسن نوعي مستمر نتج عنه أنواع جديدة راقية كالقردة ونوع أرقى هو الإنسان، أما البعض الآخر فقد حرمته الطبيعة من ذلك فتعثر وسقط، والطبيعة إذ تَهب هذا وتحرم ذاك لاتنتهج خطة مرسومة، بل تخبط خبط عشواء -على حد قوله- كما أن خط التطور ذاته متعرج ومضطرب لا يسير على قاعدة منطقية مطردة.

ذلك بإيجاز شديد هو لب النظرية التي طلع بها داروين في ذلك الكتاب وهي في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد شيء عن أن تكون نظرية فلسفية عامة كما أنها بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة(176)

((وهكذا بدأت الداروينية سنة 1859م ، وانتشرت في أوربا، وانتقلت بعدها إلى جميع بقاع العالم، وما نزال هذه النظرية تدرس في كثير من

---

(176) ((العلمانية)) - لشيخنا سفر بن عبدالرحمن الحوالي ص (178-179).

الجامعات العالمية، كما أنها قد وجدت أتباعًا لها في العالم الإسلامي بين الذين تربوا تربية غربية، ودرسوا في جامعات أوربية وأمريكيه))(177).

وللأسف الشديد فقد تأثر ببعض أفكارها بعض من المنتسبين إلى الإسلام وينعتون أنفسهم بمفكرين إسلاميين، وإن لم يتبنوها برمتها ولكن أصابهم دخانها.

من آثار الداروينية:

- سيطرت الأفكار المادية على عقول الطبقة المثقفة وأوحت كذلك بمادية الإنسان وخضوعه لقوانين المادة.
- نخلت جموع غفيرة من الناس عن إيمانها بالله تخليًا تامًا أو شبه تام.
- عبادة الطبيعة، فقد قال داروين: ((الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق)).

  وقال: ((إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت)).
- لم يعد هناك جدوى من البحث في الغاية والهدف من وجود الإنسان لأن داروين قد جعل بين الإنسان والقرد نسبًا بل زعم أن الجدَّ الحقيقي للإنسان هو خلية صغيرة عائشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين.
- طغت على الحياة فحضى عقائدية.
- كانت نظرية داروين إيذانًا وتمهيدًا لميلاد نظرية فرويد في التحليل النفسي، وميلاد نظرية برجسون في الروحية الحديثة، وميلاد نظرية

---

(177) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص (217).

سارتر في الوجودية، وميلاد نظرية ماركس في المادية. وقد استفادت هذه النظريات جميعًا من الأساس الذي وضعه داروين واعتمدت عليه في منطلقاتها وتفسيراتها للإنسان والحياة والسلوك.

نظرية التطور البيولوجية انتقلت لتكون فكرة فلسفية داعية إلى التطور المطلق في كل شيء تطور لاغياة له ولا حدود، وانعكس ذلك على الدين والقيم والتقاليد، وساد الاعتقاد بأن كل عقيدة أو نظام أو خُلق هو أفضل وأكمل من غيره ما دام تاليًا له في الوجود الزمني(178).

وللاسف الشديد فإن هذه النظرية تدرس في مدارس المسلمين للناشئة هكذا دون انتقاد لها ودون تقيد وإنما تدرس ولها كل احترام وهيبة وتبجيل فكيف تكون الآثار النفسية على دارس هذه النظرية لا سيما الناشئة الصغار الذين هم في دور التكوين الفكري والعقدي والثقافي.

ومنها: نظرية السيادة فمن قائل السيادة للأمة، ومن قائل السيادة للشعب ومن قائل السيادة للشعب ((السيادة للأمة)) تتمثل نظرية سيادة الأمة في أن السيادة للأمة باعتبارها شخصًا متميزًا عن الأفراد المكونين لها، وليست السيادة ملكًا لأفراد الأمة مستقلين، فليس لكل منهم جزء من السيادة وإنما للسيادة صاحب واحد هو الأمة التي هي شخص جماعي مستقل عن الأفراد الذين يكونونها فالإرادة العامة للأمة التي صارت مستقرًا ومستودعًا لهذه السيادة هي ذلك الوجود المعنوي، أو المجازي الذي انبثق عن مجموع الإرادات الفردية واستقل عنها.

لقد نشأت نظرية سيادة الأمة كرد فعل عنيف للأوضاع السياسية التي

---

(178) الموسوعة الميسرة ص: 213-214.

عاشتها أوربا قبل عصر الثورة الفرنسية حيث كان الملك يستحوذ على السيادة في مملكته.

ولذلك كان لويس الرابع عشر يقول: ((أنا الدولة)) فلما قامت الثورة الفرنسية انتزعت السيادة من يد الملك وجعلتها ملكًا للأمة ، وجاء الدستور الفرنسي ليؤكد على هذا في المادة الثالثة من إعلان حقوق الإنسان الصادر عام (1879م) على أن السيادة للأمة حيث جاء فيه ((مبدأ السيادة الكاملة هو أساسًا من حق الأمة فلا يجوز لأي جماعة أو فرد أن يمارس السلطة ما لم تكن نابعة بجلاء من الأمة)) كما تم النص في الماة السادسة من الإعلان نفسه على أن القانون هو التعبير عن إرادة الأمة.

ورغم النداء الصاعق بتطبيق نظرية سيادة الأمة في الغرب يجد الكثيرين من مفكري الغرب لا يرون هذه النظرية إلا ضربًا من الخيال لأن كيان الأمة ينشأ عن تجمع عدد من الأفراد يشتركون في بضعة عوامل كاللغة والدين والتاريخ والحضارة، وسلطة هؤلاء الأفراد مجتمعين هي السيادة الحقيقية لهذا الكيان، وهذه السلطة لا يمكن أن يشارك فيها أحد من الأجيال السابقة (الموتى) أو الأجيال اللاحقة التي لم يولد أبناؤها بعد.

وخروجًا من الخيال إلى الحقيقة أقرساسة الديمقراطية المعاصرة الحق في مشاركة السلطة للمعاصرين دون غيرهم، وبذلك اعبتر رأيهم ممثلاً لإرادة الأمة....

((سيادة الشعب)) هناك ارتباط وثيق بين نظريتي سيادة الأمة وسيادة الشعب، فقد قامت الثانية لتلافي أخطاء الأولى وإزالة عيوبها، فكانت نقطة البداية في نظرية سيادة الشعب ((أنها تقرر انتقال السيادة إلى الجماعة بوضعها مكونة من عدد من الأفراد وليست باعتبارها وحدة مستقلة عن

الأفراد المكونين لها...))

((سيادة القانون)) إلى جانب النظريات السابقة للسيادة، ظهرت سيادة القانون، القائمة على أساس الاعتراف للقانون بحق الرياسة والقداسة، مما يجعله مصدر السيادة الذي لا منازع له، وهناك وحدة فلسفية ظاهرة بين سيادة الأمة وسيادة القانون حيث أن القانون هو التعبير عن إرادة الأمة، فسيادته تعني سيادة الأمة من جهة أن الأمة تحتكم إلى القانون صاغته أو شاركت في صياغته أو أقرته على الأقل، فهي لا تخضع لسيادة خارجية، ولكنها تخضع لسيادة المجموع من خلال القانون.

أما السيادة التي تنسب للقانون فلا يتمتع بها في الحقيقة إلا المجلس التشريعي للأمة وليس أفراد الأمة أحادًا كما تشير الأصول الفلسفية على ما أسلفت، بل إن المتمتع بهذه السيادة هو ((الشخص أو الهيئة التي يخولها القانون سلطة ممارسة السيادة أي سلطة إصدار الأوامر النهائية في الدولة فالسلطة العليا التي تمتلك حق إصدار هذه القوانين هي صاحبة السيادة القانونية)).

هذه هي بعض نظريات السيادة التي يتداول الناس شعاراتها اليوم(179)

.

والحق الذي لا يحيد عنه كل موحد أن من مقتضيات التوحيد سيادة الشرع، فإن الإسلام الذي يقر بالوحدانية لله ويوجب على المسلمين الإقرار بوحدانية الله حتى يكونوا مسلمين، لم يقيد الوحدانية في ميدان دون ميدان، بل لابد من توحيد الله تعالى وإفراده بكل صفة من صفات الكمال فمن

---

(179) ((جلاء الظلمة في التحذير من سيادة الشعب والأمة)) - لأحمد الشريف ص:(
).

استسلم لله ظاهرًا وما انقاد له باطنًا فليس بموحد لأن التوحيد كلٌ لا يتجزأ كما أن من استسلم وانقاد لله تعالى في عبادته ثم انقاد لغيره فجعله سيدًامطاعصا في أي أمر من أمور دينه أو دنياه التي مردها إلى الله فقد أشرك مع الله غيره، لأن التوحيد يقتضى إفراد الرب سبحانه بجميع صفات الكمال ومنها السيادة أو السلطة العليا المطلقة على الخلائق أجمعين كما أن صفات الكمال التي يجب صرفها لله تعالى ودره كثيرة فمنها: الخلق، والرزق، والأمر ، والملك، وغير ذلك مما وصف الله تعالى به نفسه أوصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم ، فمن وحد الله تعالى ووصفه بالخلق أو الرزق ونسب صفة الأمر لغيره فهو كافرٌ بالله مشركٌ به وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ((فمنازعة الله في شيء من الأمر كمنازعته في شيء من الخلق ولا فرق، ولا شك أن إفراد الله بالأمر كإفراده بالخلق، وأن إفراده بالأمر الشرعي كإفراده بالأمر الكوني ولا فرق، وأن الخروج على أحدهما إشراكٌ بالله عزوجل، ومنازعةٌ له في إظهر خصائص الربوبية قال تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [يوسف:40]، وقال تعالى {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً} [الأنعام:114] فدلت الآية الأولى على أن إفراد الله بالحكم من عبادته وأن عبادته وحده هي الدين القيم، وأنكرت الآية الثانية أن يبتغي غير الله حكمًا وهو الذي أنزل الكتاب مفصلاً

فهل يسوغ بعد هذا لأحد أن يزعم الإيمان ويدعى الإسلام وهو يصرف إحدى خصائص الألوهية لغيره.

وليس بخاف أن الإقرار لله تعالى بالسيادة هو مقتضى التوحيد بأقسامه الثلاثة.

فتوحيد الألوهية وهو توحيد الله بأفعال العباد يلزم أهل الإسلام بإفراد الله عز وجل بالسيادة، إذ له الحكم، وله الأمر، وليس لأحد سواه شيء من ذلك)).

وتوحيد الربوبية وهو توحيد الله بأفعاله يلزم أهل الإسلام بإفراد الله عزوجل بالسيادة، إذ إن الحكم والأمر له وهما من أفعاله سبحانه، فوجب الإقرار بهما على كل مقر بتوحيد الربوبية.

وتوحيد الأسماء والصفات يقتضي أيضًا وصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وهو كما قال: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} [التين: 8] في تقريرٍ يقطع دابر كل شك وريب ومن لم يصف الله تعالى بما وصف به نفسه من الحكم والأمر وما في معناهما وسائر صفاته تعالى فهو كافرٌ مشرك، ومثله في الحكم من نسب شيئًا من صفاته تعالى لغيره من الخلائق(180).

ومن الجمعيات والمنظمات:

((الماسونية)) وهي منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد.

من أفكارهم ومتقداتهم:

- يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات ويعتبرون ذلك فزعبلات وخرافات.
- يعلمون على تفويض الأديان.

---

(180) جلاء الظلمة ص(68-69).

- إباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة.

- تهديم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد(181).

((الليونز)) هي مجموعة نواد ذات طابع خيري اجتماعي في الظاهر، لكنها لا تعدوا أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية التي تديرها أصابع يهودية بغية إفساد العالم وإحكام السيطرة عليه.

وفي أفكارهم:

- الدعوة إلى الإخاء والحرية والمساواة.

- تنمية روح الصداقة بين الأفراد بعيدًا عن الروابط الدينية.

- يرددون دائمًا شعار ((الدين لله والوطن للجميع)).

- الإسلام لديهم يقف على قدم المساواة مع الديانات الأخرى سماوية كانت أم بشرية هذا من حيث الظاهر، أما الحقيقة فإنهم يكيدون له أكثر مما يكيدون لسواه.

((الروتاري)) منظمة ما سونيه تسيطر عليها اليهودية العالمية، تعرف باسم ((نادي الروتاري)).

من أفكارهم:

- عدم اعتبار ((الدين)) مسالة ذات قيمة لا في اختيار العضو، ولا في العلاقة بين الأعضاء، ولا يوجد أي اعتبار لمسألة الوطن.

---

(181) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص: (449-451).

- إسقاط اعتبار ((الدين)) يوفر الحماية لليهود ويسهل تغلغلهم في الأنشطة الحياتية حافة.

- هناك تشابه كبير بين الماسونية والروتاري في مسألة ((الدين والوطن)).

- القيم والروح التي يُصبَغ بها الفرد واحدة في الماسونية والروتاري مثل فكرة المساواة والإخاء والروح الإنسانية والتعاون العالمي، وهذه روح خطيرة تهدف إلى إذابة الفوارق بين الأمم، وتفتيت جميع أنواع الولاءات، حتى يصبح الناس أفرادًا ضائعين تائهين، ولا تبقى قوة متماسكة إلا اليهود الذين يريدون السيطرة على العالم.

- تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين الصلاة بين مختلف الطوائف وتتظاهر بأنها تحصر نشاطها في المسائل الاجتماعية والثقافية وتحقق أهدافها عن طريق الحفلات الدورية والمحاضرات والندوات التي تدعو إلى التقارب بين الأديان.

- أما الغرض الحقيقي وهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الود والإخاء وعن طريق ذلك يصلون إلى جمع المعلومات التي تساعدهم في تحقيق أغرضهم الاقتصادية والسياسية وتساعدهم على نشر عادات معينة تعين على التفسخ الاجتماعي(182) .

هذه أخا التوحيد بعض الأمور التي تدعوا إلى الاهتمام بالتوحيد، وجعله على قائمة أولويات الدعوة الإسلامية.

وكأني بك قد استبان لك الخطر الداهم على عقيدة التوحيد، وبعض المخططات التي ترادُ بأهله، فهل من نصرة لعقيدة التوحيد وهل من همة

---

(182) الموسوعة الميسرة ص(243-246).

للذب عنها والذود عن حياضها.